الخصومة في القران الكريم
دراسة في دلالة البنية التركيبية

رسالة تقدم بها الطالب

مصطفى حامد يعقوب

إلى

مجلس كلية التربية – جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد

الدكتور سالم يعقوب يوسف

١٤٣٣هـ ٢٠١٢م

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ((**الخصومة في القران الكريم- دراسة في دلالة البنية التركيبية**)) التي تقدم بها الطالب (**مصطفى حامد يعقوب**) قد جرى تحت إشرافي في كلّية التربية / جامعة البصرة وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع :

الاسم : **أ.م.د. سالم يعقوب يوسف**

التأريخ : / /٢٠١٢

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الاسم:أ.م.د. **حسين عودة هاشم**

رئيس قسم اللغة العربية

كلية التربية /جامعة البصرة

التأريخ : / /٢٠١٢

قرار لجنة المناقشة

نشـهد أننـا أعضـاء لجنـة المناقشـة قـد اطلعنـا علـى هـذه الرسـالة الموسـومة

(الخصـومة في القـران الكـريم دراسـة في دلالـة البنيـة التركيبيـة)

للطالب (**مصطفى حامـد يعقـوب**) وقد ناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها وبتقدير (( )) .

التوقيع :
أ . م . د . حسين عودة هاشم
كلية التربية / جامعة البصرة
التاريخ : / / ٢٠١٢

رئيساً

التوقيع :
أ . م . د . صاحب منشد عباس
كلية التربية / جامعة المثنى
التاريخ : / / ٢٠١٢

عضواً

التوقيع :
أ. م . د . مرتضى عباس فالح
كلية التربية / جامعة البصرة
التاريخ : / / ٢٠١٢

عضواً

التوقيع :
أ . م . د . سالم يعقوب يوسف
كلية التربية / جامعة البصرة
التاريخ : / / ٢٠١٢

عضواً ومشرفاً

صادَقَ مجلس كلية التربية في جامعة البصرة
على ما جاء في قرار اللجنة المذكور آنفاً .

التوقيع :
أ . د . أمين عبد الجبار السلمي
عميد كلية التربية
التاريخ : / /

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴿ ٢٠٤ ﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴿ ٢٠٥ ﴾﴾

(سورة البقرة)

الإهداء

إلى من أرى بدعائها سرَ توفيقي . . . أمي

إلى من عشت بكنف حبه ورعايته وما أزال . . أبي

إلى أحبتي . . . أخي وأخواتي

وإلى كل من يرقب نجاحي

أهدي خطوتي المتواضعة

مصطفى

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين.

بعد الثناء على صاحب النعمة إلهنا المنعم سبحانه فهو الميسر والهادي لكل خير ، لابد لي أَنْ أتوجّه بالشكر والامتنان لكل أساتذتي الذين ترعرعت على أيديهم بدءًا من مرحلة البكالوريوس وانتهاءً بنهاية مرحلة الماجستير في قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة البصرة عرفاناً لما قدموه لي ، وأخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور سامي علي جبار ، والأستاذ الدكتور فاخر هاشم الياسري والدكتور صيوان خضير خلف. وأستاذي المشرف الدكتور سالم يعقوب يوسف شاكراً له ما بذله من جهد في تقويم رسالتي ، وما أبداه من ملاحظات قيّمة سددت خطى البحث وصوبت مقاصده.

والشكر والتقدير إلى عمادة كلية التربية ورئاسة قسم اللغة العربية وأخصُّ بالذكر رئيس قسم اللغة العربية الدكتور حسين عودة .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى الأستاذ المساعد الدكتور امجد كامل العثمان والدكتور مازن المازني سائلا الله لهما الخير كله .

والشكر موصول إلى العاملين في المكتبة المركزية في جامعة البصرة ، وإلى منتسبي مكتبة نازك الملائكة في كلية التربية لما قدموه لي من عون ومساعدة ، وما وجدته من حسن معاملة .

وأقدم عظيم شكري لكل من أسدى إليّ معروفاً في الإعارة والمشورة سائلاً المولى القدير أن يجزي الجميع عني خير الجزاء .

المحتويات

اسم الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ - ت
التمهيد	١
في الخصومة القرآنية	١
مفهوم الخصومة	١
ألفاظ الخصومة وصيغها	٤
الألفاظ المقاربة للخصومة	٨
أنواع الخصومة	١٣
أسباب الخصومة	٢١
الفصل الأول (دلالة الأساليب اللغوية في سياق الخصومة القرآنية)	٢٦
المبحث الأول (أسلوب الاستفهام)	٢٨
المبحث الثاني (أسلوب النداء)	٣٣
المبحث الرابع (أسلوب النفي)	٣٦
المبحث الخامس (أسلوب الأمر)	٣٩
المبحث السادس (أسلوب الشرط)	٤٣
المبحث السابع (أسلوب التوكيد)	٤٧
الفصل الثاني (دلالة أحوال الجملة والجمل في سياق الخصومة القرآنية)	٥٧
المبحث الأول (التقديم والتأخير)	٥٩
المبحث الثاني (التنكير والتعريف)	٦٣

المبحث الثالث (الحذف والذكر)	٧٢
المبحث الرابع (الجملة الإعتراضية)	٧٨
المبحث الخامس (الفصل والوصل)	٨١
الفصل الثالث (التوظيف الدلالي لوسائل التعبير الفني في سياقات الخصومة القرآنية)	٨٩
المبحث الأول (دلالة التركيب)	٩١
اتساق التعبير في التراكيب	٩٠
المشاكلة	٩٥
التكرار	٩٨
الفاصلة	١٠٣
الالتفات	١٠٧
المبحث الثاني (دلالة الخطاب)	١١٣
اولاً / الحجة العقلية	١١٥
ثانياً / السخرية والاستهزاء	١٢١
ثالثاً / الترغيب	١٢٦
رابعاً / التهديد والوعيد	١٢٩
الخاتمة والنتائج	١٣٣
المصادر والمراجع	١٣٧

المقدمة

المقدمة

الحمد لله على إحسانه والشكر له على فضله وتوفيقه وامتنانه ، فضلنا بطلب العلم على كثير ممن خلق تفضيلاً ، فنحمده ونشكره لذلك سبحانه ، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وبعد :-

فلمّا كان القرآن الكريم معجزةً عقليةً خالدة ، ظل على امتداد الأزمان بِكراً في معانيه وألفاظه وتراكيبه ووسائله وأهدافه ، يحوم حوله العلماء من كل عصر ، فيأخذون بعض الفرائد من جواهره ، ويرتشفون قطرات من جليل هديه وتوجيهه ، كما ظل محل التدبر ومناط التأمل وغاية الغايات .

لذلك كان أهم ما يتاح لطالب العلم والباحث فيه أن يوظف ما حصّله من مسائل العلم في خدمة هذا الكتاب العزيز ؛ إظهاراً لمقاصده ، وتوضيحاً لمراميه ، وتجليةً لبعض أسراره المستكنة وراء ألفاظه وجملِه ، وقد لفت انتباه الباحث في قراءته لكتاب الله عز وجل والتنقل بين سوره ما ورد فيه من خصومات بين أطراف متعددة ، فقدح في البال فكرة دراسة هذه الخصومات . وما أن عُرض الأمر على الأستاذ المشرف الدكتور (سالم يعقوب يوسف) حتى وافق الرأي ، وراقت له الفكرة ، علماً منه لما في هذه الخصومات من مادة صالحة للدراسة ، ووقر في القلب إعداد خطة يحسبها الباحث مناسبةً لبيان هذه الدراسة .

وقد اتبع الباحث في دراسته لهذا الموضوع (المنهج الوصفي التحليلي) في عرض الآيات المتعلقة بمواقف الخصومة في القرآن الكريم .

وقد اقتضت الدراسة تقسيم البحث على تمهيد وثلاثة فصول :

أما التمهيد (في الخصومة القرآنية) فقد أشتمل على عدة مواضيع ، في مفهوم الخصومة ، وصيغها الواردة في القران مع بيان ألفاظها المقارِبة كالجدال والمراء والحجاج وغيرها .

و بيان أنواعها الواردة في القرآن واهم أسبابها.

والفصل الاول : (دلالة الأساليب النحوية في سياق الخصومة القرآنية) تناولت فيه عدة مباحث وهي أهم الأساليب الواردة في سياقات الخصومة وهي :

الاستفهام ، والنداء ، والنفي ، والأمر ، والشرط ، والتوكيد .

والفصل الثاني : (دلالة أحوال أجزاء الجملة والجمل في سياق الخصومة القرآنية) تناولت فيه عدة مباحث وهي أهم الظواهر التي تعتري أجزاء الجملة والجمل وهي : التقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، والحذف والذكر ، والجملة الاعتراضية ، والفصل والوصل .

والفصل الثالث : (التوظيف الدلالي لوسائل التعبير الفني في سياق الخصومة القرآنية) وكان على مبحثين ، الأول : بعنوان (دلالة التركيب) تناولت فيه عدة ظواهر تندرج تحت هذا العنوان وهي : اتساق التعبير في التراكيب ، والمشاكلة ، والتكرار ، والفاصلة ، والالتفات.

والثاني : بعنوان (دلالة الخطاب) تناولت فيها عدة مواضيع من شأنها أن تكون وسائل يرتكز عليها الخطاب وهي : الحجة العقلية ، والسخرية والاستهزاء ، والترغيب ، والتهديد والوعيد .

وأعقبت ذلك بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث وبعدها قائمة بالمصادر والمراجع .

أما المصادر التي استعنت بها فأهمها كتب التفسير على مختلف مناهجها ، إذ رجع الباحث إلى العديد منها من أمثال : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، والتبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ، والكشاف للزمخشري ، ومجمع البيان للشيخ الطبرسي ، والتفسير الكبير للرازي ، وروح المعاني للآلوسي ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب ، والميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ، وغيرها . وكذلك كتب إعراب القرآن منها : التبيان في إعراب القرآن للعكبري ، وإعراب القرآن وبيانه لمحيي

الدين الدرويش . ومن المعجمات اللغوية العين للخليل ، والمفردات للأصفهاني ، ولسان العرب لابن منظور ، وغيرها . إلى جانب كتب النحو ككتاب سيبويه والخصائص لابن جني ، وشرح الرضي لكافية ابن الحاجب وغيرها ، فضلاً عن الكتب الحديثة .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر أستاذي الجليل الدكتور (سالم يعقوب يوسف) الذي غمرني بفضله الكبير ، وأتحفني بعلمه الوفير، وحباني بخلقه الرفيع لما أبداه من ملاحظات وآراء سددت خطى البحث .

وكل أملي أن يكون لهذا البحث من التوفيق والسداد ما يشد من أزري لمواصلة هذا الطريق ، فإن نجحت فذلك بتوفيق الله جل وعلا وحده . وإن تكن الأخرى فحسبي أني طالبُ علم في بداية طريقه .

والحمد لله رب العالمين

التمهيد

((التمهيد))

في الخصومة القرآنية

مفهومها - صيغها – مقارباتها- انواعها - اسبابها

((مفهوم الخصومة))

الخصومة لغةً : جاء في لسان العرب في مادة (خَصَمَ) أن الخصومة :((الجَدَل خاصمه خِصاماً ومُخاصمةً ، فخَصَمَه يخصِمُه خَصْماً : إذا غلبه بالحجة)) [1] .

وجاء في معجم مقاييس اللغة أن لمادة (خَصَمَ) أصلين ((أحدهما المنازعة ، والثاني جانب وعاء ، فالأول الخَصْم الذي يخاصم ... والأصل الثاني الخُصْم جانب العِدْل الذي فيه العروة ، ويقال إن جانب كل شيء خُصْمٌ)) [2] . واصل المخاصمة ((أن يتعلق كل واحد بخَصْم الآخر أي جانبه)) [3] ، وقد جمع ابن فارس(ت٣٩٥هـ) بين الأصلين بقوله :((إن جانب العْدِل مائل إلى أحد الشّقين ، والخَصْم المنازع في جانب ، فالأصل واحد))[4] .

ولما كان الخصْم هو الجانب فالخصومة إذن تكون بين جانبين سُمّي كل واحد منهما الخصم ، وهذا يتفق مع الأصل اللغوي لمادة (خصم) .

والخصومة : الاسم من التخاصم والاختصام ، يقال : اختصم القوم وتخاصموا وخصْمُك الذي يخاصِمْك ، وجمعه خُصوم ، وقد يكون للاثنين والجمع ، ورجل خصيم بمعنى (جَدِل) ومنه قوله تعالى :﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف ٥٨] ،

---

[1] لسان العرب لابن منظور(خَصَمَ) : ٢ / ١١٧٦ ، وينظر : المصباح المنير للفيومي (خَصَمَ):٦٥ – ٦٦ .
[2] معجم مقاييس اللغة لابن فارس (خَصَمَ) : ٢ / ١٨٧ .
[3] مفردات غريب القرآن للأصفهاني (خصم) : ١ / ١٩٩ ، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي : ٢ / ٥٤٧ .
[4] معجم مقاييس اللغة (خصم) : ٢/ ١٨٧ .

وأخصمت فلاناً : إذا لقننته حجته على خصمه ، والخَصْم الشديد الخصومة ، والخصيم الذي يخاصم غيره [١] .

من هذا التبيان في المعاجم عن مادة الخصومة يتضح لنا المعنى الاصطلاحي لهذه المادة بأن (الخصومة) هي اسم العلم على الاختصام والتخاصم ، تفيد معنى المجادلة والمحاجّة في أمر اختلَفَ عليه أطراف الخصومة ، ولا توجد الخصومة إلاّ حين توجد المشكلة والمعضلة من الأمور . جاء في مجمع البيان أن الخصومة هي ((المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة)) [٢] ، فالخَصْم هو ((المدعي على غيره حقاً من الحقوق والمنازِع له فيه ويعبر عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد)) [٣] وعليه قوله تعالى :﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ [الشعراء ٩٦] .

وقد عرّف بعضُهم الخصومة أنها :((المناقشات الشفاهيّة والكتابيّة التي تقوم بين الأفراد حول مسألة من المسائل التي يتنازعون فيها)) [٤] ، أو هي لجاج في الكلام ليستوفى منه غرض مقصود [٥] ، والخصومة بطبيعة الحال علاقة قائمة بين طرفين على المعاندة والاختلاف ممزوجة بالبغض النفسي الباطني ، الذي يكنه الخَصْم لخصمه[٦] ، والخصومة من خصائص الطبيعة المادّية وتنشأ من تزاحم المنافع وتعارضها[٧]، والذي يكثر الجدال والمراء والمعارضة في أمر قامت الأدّلة على صحته يقال عنه (خَصْم) ، والعرف الشائع بين العامّة من الناس أن الخصومة بمعنى العداوة نتيجة خلاف ونزاع وتشاجر ، فيقال : فلان خصم فلان – أي عدو له – ويقال : بين فلان وفلان مخاصمة – أي مقاطعة وشحناء – [٨] .

---

[١] ينظر : العين للخليل : تحقيق عبد الحميد هنداوي (خَصَمَ) / ١ / ٤١٤ ، ولسان العرب (خصم) : ٢ / ١١٧٦ – ١١٧٧ .
[٢] مجمع البيان للطبرسي : ٣ / ١٨٣ .
[٣] المصدر نفسه : ٨ / ٣٥١ .
[٤] المعجم الفلسفي (د. جميل صليبا) : ١ / ٥٢٩ .
[٥] ينظر : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين (محمد جمال الدمشقي) : ٢٠٩ .
[٦] ينظر : الخصومة ظاهرة في حياتنا السياسية والاجتماعية ، (عبد الرحيم الحصيني) : ٣١ .
[٧] ينظر : التحقيق في كلمات القرآن (المصطفوي) ٣ / ٧٢ .
[٨] ينظر : أدب الخصومة في الإسلام (د. سالم القمزي) : ٣٧ .

وقد وردت معاني هذه المفردة (الخصومة) في الحديث الشريف ، في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال ، قوله(ﷺ):((إن أبغضَ الرجال إلى الله الألدَّ الخَصِم))[1] وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كان تهجد رسول الله (ﷺ) بالليل :((اللهمّ لك أسلمت،وبك آمنت،وعليك توكّلت، وإليك أنبت ، وبك خاصَمْت وإليك حاكمت ..))[2] .

وقد وردت هذه المفردة وبعض مشتقاتها في الشعر العربي ، فقد جاء في قول لبيد بن ربيعة وهو يرثي أخاه (أربد) : [3] (الوافر)

يذكّرني بأربد كلُّ خصمٍ

الدَّ تَخالُ خطّتَه ضِرارا

وجاء في قول ذي الرمة : [4] (الطويل)

وما كنت مذ أبصرتِني في خصومةٍ

أُراجعُ فيها يابنةَ القرمِ قاضيا

ومما تقدم يتضح أن لفظ الخصومة ومشتقاته لا يخرج في معناه عن كونه مجادلة أو محاجّة ، إلاّ أنّ هذه المجادلة تتسم بالخطورة والحِدّة والبغضاء ولو كانت من طرف واحد ، وتتسع هذه المجادلة والمحاجّة كلما اتسعت دائرة الخلاف وحينئذ تنقلب من جدال ومحاجّة إلى نزاع وخصومة .

---

[1] صحيح البخاري / كتاب المظالم / باب إذا أذن إنسان لآخر شيئا جاز / حديث رقم (٢٤٥٧) ٥٠٧ .
[2] المصدر نفسه / كتاب التهجد / باب التهجد بالليل / حديث رقم (١١٢٠) ٢٣٣ .
[3] شرح ديوان لبيد تحقيق (د. إحسان عباس) : ١٦٦ .
[4] ديوان ذي الرمة تحقيق (د. عبد القدوس أبو صالح) : ٢/ ١٣١٣ .

((ألفاظ الخصومة وصيغها))

وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة ، ثلاث عشرة منها في آيات مكية ، وخمس في آيات مدنية [١] ، كلها بدلالة المنازعة والجدال .

وقد تنوعت الصيغ الواردة في القرآن الكريم لهذه اللفظة ، فقد وردت على سبع صيغ ما بين اسم وفعل ومصدر [٢] .

١- صيغة الفعل الماضي :

وردت مرّة واحدة في سورة الحج قال تعالى :﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج ١٩] .

٢- صيغ الفعل المضارع :

ورد الفعل المضارع من هذه اللفظة – الخصومة – سبع مرّات ، تارة مسندة إلى واو الجماعة مع ثبوت النون (يختصمون) كما في سورة آل عمران ، قال تعالى:﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران ٤٤] [٣]، وتارة بغير النون كما في سورة ق قال تعالى :﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴾ [ق ٢٨] ، وجاءت صيغة (يخِصِّمون) المشددة مرّة واحدة في سورة يس قال تعالى :﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [يس ٤٩] ، ومعنى (إلاّ وهم يخصّمون) أي ((والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عاداتهم)) [٤] . والذي يبدو أن هذه اللفظة وردت لتبين نفسية الكفار المعاندين – باعتبار أن الآية في سياق الرد على الكفار– بأنها مستمرّة في العداء مع الآخرين ، فدلالة التشديد والمد تتعاضد لتبين هذا المعنى .

---

[١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (محمد فؤاد عبد الباقي) : ٢٣٤ .
[٢] ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته (د. أحمد مختار عمر) : ١٦٥ – ١٦٦ .
[٣] وينظر : الشعراء : ٩٦ ، والنمل : ٤٥ ، ص : ٦٩ ، والزمر : ٣١ .
[٤] تفسير ابن كثير : ٦ / ٥٨١ .

٣- صيغ المصدر :

* صيغة [تَخاصُم] :

وردت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم كما في سورة (ص) ، في سياق خصومة أهل النار في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص ٦٤] ، وهي مصدر قياسي للخماسي (تَخَاصَمَ) فهو على وزن ماضيه بضم ما قبل الآخر [١] ، والصيغة بيّنت لنا حال أهل النار بالشكل الدقيق فهي على وزن (تَفاعُل) التي تحمل معنى المشاركة [٢] ، والمشاركة تعني المقاسمة في الفاعلية والمفعولية بين الأمرين في أصل الصدور والوقوع ، بشرط أن يكون أحدهما غالباً والآخر مغلوباً ، فيكون كل واحد منهما فاعلاً ومفعولاً لاشتراكهما فيهما [٣] ، وهذا هو حال أهل النار .

* صيغة [خِصام]

وهي على وزن (فِعال) ووردت مرتين ، في سورة البقرة قال تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة ٢٠٤] ، وفي سورة الزخرف قال تعالى :﴿ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف ١٨] .

* صيغة [خَصْم]

وردت هذه اللفظة مفردة ومثنى (خصمان) وقد تكون للمثنى والجمع ، ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول هذان خصمان وهم خصوم [٤] . ولفظة (خَصْم) المفردة وردت مرّة واحدة في سورة ص قال تعالى :﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ [ص ٢١] ، أما المثنى منها فوردت مرتين ، في سورة الحج قال تعالى :﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ

---

[١] ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم (محمود صافي) : ١٢ / ١٣٩ .
[٢] ينظر : جوهر القاموس (محمد القزويني) : ٣١٨ .
[٣] ينظر : شرح التسهيل (ابن مالك) ٣ / ٤٥٤ ، وجوهرالقاموس : ٣١٥ .
[٤] ينظر : إصلاح المنطق (ابن السّكيت) : ١٦٣ ، ولسان العرب (خَصَمَ) : ٢ / ١١٧٦ .

اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج ١٩] ، وفي سورة (ص) قال تعالى :﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ [ص ٢٢] ،

وهذا التفريق هو المعنى الراجح ، جاء في قول امرئ القيس في معلقته : [١] (الطويل)

الا رُبَّ خَصْمٍ فيك ألوى رَدَدْتُه

نصيحٌ على تعذاله غيْرَ مؤْتَلي

فقد بينّ أنه لا يرتدع عن حبّ محبوبته حتى من لوم الخَصْم شديد الخصومة [٢]

٤- صيغ المشتقات :

* صيغة [خصيم]

وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاث مرات ، قال تعالى :﴿ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً ﴾ [النساء ١٠٥] [٣]، وذكر بعضهم أنها صفة مشبهة من خَصَم يخصِم ، فعيل بمعنى فاعل [٤] ، وهذا البناء يدل على الثبوت [٥] ، ونقل ابن منظور(ت٧١١هـ) رأياً لابن بري [٦] في (لسان العرب) بين فيه أن (خصيماً) في هذه الآية بمعنى مُخاصِم كنسيب بمعنى مُناسِب وعشير بمعنى مُعاشِر [٧] ، والخصيم هو المجادل بالباطل والمبين الظاهر الخصومة [٨] أو هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم [٩] .

---

[١] ديوان أمرئ القيس (بشرح السكري) : ٢٣٨ .
[٢] ينظر : شرح المعلقات السبع (للزوزني) ٥٨
[٣] وينظر : سورة النحل : ٤ ، ويس : ٧٧ .
[٤] ينظر : الجدول في إعراب القرآن : ٥ / ١٥٨ .
[٥] ينظر : معاني الأبنية (د. فاضل السامرائي) : ٩٤ .
[٦] هو عبد الله ابن بري بن عبد الجبار المقدسي له عدة مؤلفات منها (شرح شواهد الإيضاح) و (حواش على درة الغواص للحريري) وغيرها ، (ت٥٨٣هـ) ، ينظر : الأعلام للزركلي : ٤ / ٧٣ .
[٧] ينظر : لسان العرب (خصم) : ٢ / ١١٧٧ .
[٨] ينظر : مجمع البيان : ٦ / ١٣٩ ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود : ٥ / ٩٦ .
[٩] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٥ / ٩٦ ، و إعراب القرآن الكريم وبيانه (محي الدين الدرويش) : ٤ / ٢١٩ .

* صيغة [خَصِم]

وردت هذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم ، مسندة للجماعة (خَصِمون) وهي جمع (خَصِم) ، الصفة المشبهة من الثلاثي (خَصَمَ) [١] ، قال تعالى :﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف ٥٨] ، والصفة المشبهة تدل على الثبوت في كثير من الأحيان وقد جاءت هنا كذلك ، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن تعنت قريش في كفرهم ، وتعمدهم العناد والجدل [٢] ، فقد أرادوا أن يأخذوا على رسول الله (ﷺ) ما ورد في قوله تعالى :﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء ٩٨] ، فقال أحدهم [٣] أكلُّ ما يعبد من دون الله في جهنّم مع من عبده ، فاليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم [٤] ، فجاء وصفهم في قوله تعالى :﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف ٥٨] أي هم قوم شديدو الخصومة دأبهم اللجاج بالباطل [٥] ، فقد علموا أن عيسى لم يكن من أصحاب النار لكنهم قصدوا مغالطة الرسول بقصد التغلب عليه في المناظرة [٦] ، وقد نقل ابن منظور قول ابن بري في التفريق بين الخَصِم والخَصيم بقوله :((الخَصْم : العالم بالخصومة وإن لم يخاصم ، والخصيم الذي يخاصم غيره))[٧] .

وبهذا تكون مادة (خَصَمَ) ومشتقاتها في القرآن الكريم قد دلَّت على معاني النزاع والجدال المذموم الذي يحمل معه الحقد والاحتقان والكراهية ، مع البغض وذميم الأخلاق.

---

[١] ينظر : الجدول في إعراب القرآن : ٣ / ١٥٨.
[٢] ينظر : تفسير ابن كثير : ٧ / ٢٣٣ .
[٣] وهو عبد الله بن الزبعري ، ينظر : تفسير ابن كثير : ٧ / ٢٣٣ .
[٤] ينظر : المصدر نفسه : ٧ / ٢٣٣ .
[٥] ينظر : الكشاف للزمخشري : ٥ / ٤٥٢ ، وإرشاد العقل السليم : ٥ / ٩١ ، والبحر المحيط لأبي حيان الاندلسي : ٨ / ٥٢ .
[٦] ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي : ٢ / ٣١٧ .
[٧] لسان العرب (خصم) : ٢/ ١١٧٧

((الالفاظ المقاربة للخصومة))

تقترب بعض الألفاظ من مفهوم الخصومة من حيث الدلالة ، وإن لم ترادفها تماماً كلفظة (الجدل) و (المراء) و (المحاجة) وغيرها .

وللتدليل على كلامنا لابد أن نقف على بعض استعمالات هذه الألفاظ وأصلها اللغوي بوصفها من مقاربات الخصومة .

١ – الجدل والمجادلة :

تقارب هذه اللفظة لفظة الخصومة في أغلب استعمالاتها في القرآن الكريم ، والجدل في اللغة : شدّة الفتل [١] ، يقال :((جدلتُ الحبل أجدِلُه جَدْلاً إذا شدَدْتَ فَتْلَه ، وفتلتَه فتلاً مُحكماً ، ومنه قيل لزمام الناقة الجديلُ)) [٢] ، واستعمل للدلالة على الخصومة ، قال الراغب(ت٥٠٢هـ) :((... ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتِل كلٌّ واحد الآخر على رأيه ، وقيل الأصل في الجدال الصّراع وإسقاط الإنسان صاحبَه على الجَدالة وهي الأرض الصُّلبة)) [٣] . ويقال :((جادلتُ الرجلَ فجدلتُه جدْلاً أي غلبتُه ، ورجل جدِل إذا كان أقوى في الخِصام وجادَله أي خاصَمه مجادلةً وجِدالاً والاسمُ الجَدَل وهو شِدَّة الخصومة)) [٤] .

وورد هذا اللفظ في القرآن الكريم تسعاً وعشرين مرة ، ثماني عشرة منها في آيات مكية وإحدى عشرة في آيات مدنية [٥] ، أغلبها دلت على الخصومة ، قال تعالى:﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة ١٩٧] ، والجدال هنا بمعنى المخاصمة [٦] ، فالله سبحانه وتعالى نهى عن الخصومة بلفظ الجدال ؛ لأن الجدال في ذلك المكان دليل على الخصومة .

---

[١] ينظر : لسان العرب (جدل) : ١ / ٥٦٩ ، وتاج العروس للزبيدي : ٢٨ / ١٩١ .
[٢] لسان العرب (جدل) : ١ / ٥٦٩ .
[٣] المفردات في غريب القرآن (جدل) : ١١٧ ، وينظر : تاج العروس : ٢٨ / ١٩٣ .
[٤] لسان العرب (جدل) : ١ /٥٧١.
[٥] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ١٦٥ .
[٦] ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٧٠ .

ودلَّ الجدل على الخصومة في قوله تعالى :﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ [الكهف ٥٤] ، أي شديد الخصومة والمماراة في الباطل [١] ، والمجادلة عند الكفوي (ت١٠٩٤هـ) : ((المنازعة في المسألة العلميّة لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أولا)) [٢] . وقد جعل الطبرسي(ت٥٤٨هـ) المجادلة من نظائر الخصومة وفرق بينهما بقوله إن ((المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة)) [٣] .

٢ – المراء :

المرية هي التردد في الأمر ، وهي أخصّ من الشكّ ، أما الامتراء والمماراة فهي: ((المحاجة فيما فيه مِرية ... وأصلُه من مَرَيْتَ الناقة إذا مَسَحْتَ ضِرعَها للحلب))[٤]، فتسمية الجدال مماراة ؛ لأن الماري يصّر بالبحث ليُفرغ خصمه كل ما عنده من الكلام فينتهي عنه ، والمراء قريب من الجدال لكن الفرق بينهما أن المراء مذموم جميعه ؛ لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره ، كمري الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال [٥] ، فقد يكون مخاصمة في الحق والباطل .

ويرى ابن فارس أن المراء في الكلام مأخوذ من المرو وهي الحجارة تبرق ، فالمراء مما يتمارى فيه الرجلان من هذا ؛ لأن الكلام فيه بعض الشدّة [٦] .

---

[١] ينظر : الكشاف : ٣ / ٥٩٣ .
[٢] الكليات للكفوي: ٨٤٩ .
[٣] مجمع البيان : ٣ / ١٨٣ .
[٤] المفردات في غريب القرآن (مرى) : ٦٠٣ .
[٥] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٢٦٧ .
[٦] ينظر : مقاييس اللغة (مرى) : ٥ / ٣١٤ .

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم عشرين مرّة ، أربع عشرة منها في آيات مكية وست آيات مدنية [١] ، منه ما جاء في قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى ١٨] ، والمراء ((طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير)) [٢] ، وبذلك يكون المراء وسيلة يستخدمها المخاصِم في خصومته .

٣- اللَّدد :

الألد شديد الخصومة جاء في اللغة أنه ((الخَصِم الجَدِلُ الشحيح الذي لا يزيغُ إلى الحق ... الشديدُ الخصومة الجدِل ، واشتقاقه من لَديدَيّ العنق وهما صفحتاه ، وتأويله أن خصمَه أيَّ وجه أخذ من وجوه الخصومة غلبَه في ذلك)) [٣] . وعليه قوله تعالى:﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً ﴾ [مريم ٩٧] ، أي تخوّف بالقرآن قوماً ذوي جدَل مخاصمين [٤] ، وقد ذُكرت هذه اللفظة مرّتين في القرآن الكريم [٥] ، في سورة مريم وفي سورة البقرة التي أضيفت فيها إلى لفظة الخصومة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة ٢٠٤] ، أي شديد الجدال والعداوة للمسلمين [٦] ، أو شديد الخصومة عند المخاصمة جدِل مبطِل [٧] ، ولعل الخصومة هنا شديدة فعبّر عنها بلفظين ، كل منهما يعني المخاصمة والعداوة ؛ لأنها عبّرت عن النفاق الذي يكون عليه ذلك الذي وصفته هذه الآية ، وقد ذكرنا في الصفحات السابقة فيمن نزلت هذه الآية [٨] .

---

[١] ينظر : المعجم المفهرس : ٦٦٥ .
[٢] التعريفات للجرجاني : ٢٦٦ .
[٣] لسان العرب (لدد) : ٥ / ٤٠٢٠ ، وينظر : المفردات : ٥٧٩ .
[٤] ينظر : تفسير التبيان للطوسي : ٧ / ١٥٤ ، ومعالم التنزيل للبغوي : ٨١٣ ، وفتح القدير : ٣ / ٣٥٣ .
[٥] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : ٦٤٦ .
[٦] ينظر : الكشاف : ١ / ٤١٦ .
[٧] ينظر : مجمع البيان : ٢ / ٥٤ .
[٨] تراجع صفحة (٩- ١٠) من هذا المبحث .

٤ – **المشاجرة :** و تعني المنازعة والاختلاف ، وهي في اللغة من شَجَرَ [١] ، جاء في معجم مقاييس اللغة أن الشين والجيم والراء ((أصلان متداخلان ، يقرب بعضُهما من بعض ، ولا يخلو معناهما من تداخل الشيء بعضه في بعض ، ومن علوّ في الشيء وارتفاع)) [٢] ، فالشجرة واحدة من الشجر ، وهي لا تخلو من ارتفاع وتداخل أغصان ، وسميت المشاجرة بهذا الاسم ؛ لتداخل الكلام بعضه في بعض كتداخل ورق الشجر [٣]، وشَجَرَ بين القوم إذا اختلف الأمر بينهم [٤] ، وشاجَرَه : نازعَه وخاصَمَه [٥] ، وقد وردت هذه اللفظة مرة واحدة بمعنى المنازعة في القران الكريم [٦] في قوله تعالى : ((فلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)) [النساء ٦٥] ، ووجه الاقتراب بين المشاجرة والخصومة أن كليهما مبني على الاختلاف بين طرفي الصراع ، وقد عد الطبرسي المشاجرة من نظائر الخصومة [٧] .

٥ – **المحاجّة :**

تدل مادة (حجج) في اللغة على (القصد) ، والحُجَّة البرهان وقيل هي ما دوفع به الخصم [٨] ، وذكر الأزهري بأن الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وسميت حجة ؛ لأنها تحج اي تقصد لأن القصد لها واليها [٩]. وقد وردت هذه اللفظة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثلاثاً وثلاثين مرّة [١٠] ، جاء في المفردات أن المحاجّة :((أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حُجّته ومحَجّته)) [١١] . فالأصل من الحِجاج ظهور

---

[١] ينظر : لسان العرب (شجر) : ٤ / ٢١٩٩ .
[٢] معجم مقاييس اللغة (شجر) : ٣ / ٢٤٦ .
[٣] ينظر : المصدر نفسه (شجر) : ٣ / ٢٤٦ ، والتبيان في تفسير القران : ٦ / ٣٦٤ .
[٤] ينظر : لسان العرب (شجر) : ٤ / ٢١٩٨ .
[٥] ينظر : تاج العروس (شجر) : ١٢ / ١٣٩ .
[٦] ينظر : المعجم الموسوعي لألفاظ القران الكريم وقراءاته : ٢٥٤ .
[٧] ينظر : مجمع البيان : ٣ / ١٨٣ .
[٨] ينظر : لسان العرب (حجج) : ٢ / ٧٧٩ .
[٩] ينظر : تهذيب اللغة (للازهري) (حجج) ٣ / ٢٥١ .
[١٠] ينظر : المعجم المفهرس ١٩٣ــ ١٩٤ .
[١١] المفردات : ١٤١ .

الحجة وهي ((ما دّل به على صحة الدعوى)) [١] أو ((الاستدلال على صحة الدعوة أو كذبها)) [٢] فالمقصود بالحجة إلزام الخصم وإسكاته ، وهي بذلك تكون من وسائل الخصومة ؛ لأن المخاصم يستخدم – في بعض الأحيان – الحجة العقلية لإسكات الخصم ، وهذا ما نجده في خصومة النمرود لإبراهيم (عليه السلام) ، وسنتعرض لها – الحجة العقلية – في الفصل الأخير من هذا البحث .

٦ – المنازعة :

من النزع وهو في اللغة القلع [٣] ، يقال :((نزَعَ الشيء ينزِعُهُ نَزْعاً ، فهو مَنْزوع ونَزيع ، وانتزَعَه فأنتَزَعَ ، اقتَلَعَه فأقتَلَع)) [٤] ، ((والنَّزاعة والنِّزاعة والمِنْزَعة والمَنْزَعَة : الخصومة ، والمُنازعة في الخصومة : مجاذبة الحُجج فيما يتنازع فيه الخصمان . وقد نازَعه مُنازعةً ونِزاعاً : جاذبه في الخصومة)) [٥] .

وورد هذا اللفظ في القرآن الكريم عشرين مرّة ، أربع عشرة منها في آيات مكية وست في آيات مدنية [٦] ، منها ما هو دالٌّ على المنازعة والخصومة ، قال تعالى :﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج ٦٧] .

---

[١] التعريفات : ١١٢ .
[٢] المعجم الفلسفي : ٤٤٥ .
[٣] ينظر : العين (نزع) : ٤ / ٢١١ ، ومقاييس اللغة (نزع) : ٥ / ٤١٥ ، والمفردات (نزع) : ٦٣٠ .
[٤] لسان العرب (نزع) : ٦ / ٤٣٩٥ .
[٥] المصدر نفسه : ٦ / ٤٣٩٦ .
[٦] المعجم المفهرس : ٦٩٣ – ٦٩٤ .

((انواع الخصومة))

تعددت الخصومات الواردة في القرآن الكريم ، فمنها ما جرى بين المخلوق والخالق وهذا ما جاء في خصومة إبليس لربه – جل شأنه – حول قضية السجود لآدم (عليه السلام) بعد ما خلقه وأمر الملائكة بالسجود له ، وما جرى بين مخلوق ومخلوق كخصومات أقوام الأنبياء لأنبيائهم ، ابتداءً من نوح (عليه السلام) إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وغيرها كخصومة قابيل وهابيل ، وخصومات أهل النار فيما بينهم يوم القيامة ، حينما يستقرُّ بهم الحال في جهنم ، وهذه الخصومات لم تحصل بعد لكن القرآن أوردها ، من باب الترهيب والتخويف ، وهي حقيقة حاصلة في ذلك الوقت بعد أن تبلى السرائر وكل شيء يظهر على حقيقته .

أولا / خصومة إبليس ربه حول السجود لآدم :

وهي من الخصومات التي أخبر عنها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إذ يقول مخاطباً نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) :﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ، مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ، إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ ﴾ [ص ٦٧ – ٧١] ، والله سبحانه وتعالى حينما يذكر هذه الخصومة يبين لنا مدى عداوة إبليس وأتباعه البشرية جمعاء ، متمثلة برمزها الأوّل آدم (عليه السلام) ، وهي عداوة قديمة ومستمرة إلى يوم القيامة [1] .

لقد جاء ذكر خصومة إبليس سبع مرات في القرآن الكريم في سبع سور ، ستة منها مكية هي (الأعراف ، والحجر ، والإسراء ، والكهف ، وطه ، وص) وواحدة مدنية (البقرة) ، وجاء ذكر الخصومة في هذه السور إمّا إشارة وإما بالتفصيل ، إي إيراد الحوار الذي دار بين الله عز وجل وإبليس ، ففي سور (البقرة ، والكهف ، وطه) أشار القرآن الكريم إشارة عابرة لامتناع إبليس عن السجود لآدم ، يقول تعالى في سورة البقرة:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ٣٤] ، وفي سورة الكهف يقول تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا

[1] ينظر : القصة في القرآن الكريم (د. محمد سيد طنطاوي) : ١ / ٣٧ .

إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف ٥٠] ، ويقول في سورة طه :﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ [طه ١١٦] ، أما السور المتبقية فقد ذُكرت فيها الخصومة والحوار الذي دار بين الله وإبليس [١] .

ثانياً / خصومات أهل النار :

وهي من الخصومات الغيبية التي تحدث عنها القرآن الكريم ، وهي حقائق مُسلَّمٌ بها ، واقعة يوم القيامة بين دعامات الكفر والضلال من أتباع ومتبوعين ، إذ لا يبقى للمودة والوشائج التي كانت تربطهم ذكر أبداً ، لأن هذه الصلات ما هي إلاّ مصالح دنيوية خدمت كلا الجانبين وبانتهاء الدنيا ظهرت الحقيقة واتضح كلُّ شيء ، فبرزت مواقف الخصومة .

وقد أورد القرآن الكريم خصومات متعددة لأهل النار منها :

*** بين البشر وإبليس :**

وتنشب هذه الخصومة بين الكفار والمشركين من جهة ، وبين إبليس – قائدهم الأبرز إلى هذا المكان – من جهة أخرى ، قال تعالى :﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم ٢٢] ، فالشيطان هنا بمراوغته ومغالطته وتبجحه يخاصم من أغواهم ويتبرأ منهم [٢] .

---

[١] ينظر : سور : الأعراف (١٢ – ١٩) ، والحجر : (٢٨ – ٤٤) ، والاسراء : (٦١ – ٦٥) ، ص : (٧٥ – ٨٥) .

[٢] ينظر : مشاهد القيامة في القران (سيد قطب إبراهيم) : ١٩٥ .

*** بين الضعفاء والمستكبرين :**

قال تعالى :﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم ٢١] [(١)] .

*** بين الأتباع والمتبوعين :**

قال تعالى :﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة ١٦٦ – ١٦٧] ، وهي خصومة بين أعداء قد كانوا أصدقاء قبل ذلك ، لكنها الحقيقة بعد أن ظهرت ظهر معها ((كذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب ، وتبدّى الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة ، وتمنوا لو يردون لهم الجميل، لو يعودون إلى الأرض فيتبرؤوا من تبعيّتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب)) [(٢)] .

[(١)] وينظر: سورة سبأ (٣١ – ٣٢) ، والصافات (٢٧ – ٣٢) ، وص (٥٥ – ٦٤) ، وغافر (٤٧ – ٤٩).
[(٢)] اليوم الآخر في ظلال القرآن (احمد فائز) : ٢٩٨ .

ثالثاً / خصومات الأقوام لأنبيائهم :

ورد ذكر الأنبياء ومواقف الأقوام منهم في القرآن الكريم في سور متعددة ، منها ما هو إشارة فقط ، ومنها ما هو بالتفصيل أي ذكر الجدالات والحوارات التي قامت بين أولئك وأنبيائهم ، من نوح (عليه السلام) إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد اعتمد الباحث النصوص التي ذُكر فيها الجدال والحوار لما يتحقق فيها من الخصومة ، من هذه الخصومات :

*** خصومة قوم نوح :**

وردت قصة نوح (عليه السلام) مع قومه في سور متعددة (الأعراف ، ويونس ، وهود ، والمؤمنون ، والشعراء ، ونوح) [1] ، يقول تعالى في سورة الأعراف :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف ٥٩] .

*** خصومة قوم هود :**

وردت قصة هود (عليه السلام) في سور متعددة من سور القرآن الكريم تارة بصورة فيها شيء من التفصيل كما في سور : الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والأحقاف ، إذ ذكرت فيها مواقف قومه منه وما دار بينه وبينهم من حوار وجدال [2] ، وتارة بشيء من التركيز والإيجاز كما في سور فصلت والذاريات والقمر والحاقة والفجر ، ولم تذكر فيها مواقف الخصومة والجدال [3] .

---

[1] ينظر : سور : الأعراف (٥٩ – ٦٥) ويونس (٧١ – ٧٤ ، وهود (٢٥ – ٤٨) والمؤمنون (٢٥ – ٣١) والشعراء (١٠٥ – ١٢٣) ونوح (١ – ٢٨) .

[2] ينظر : سور : الأعراف (٦٥ – ٧٣) ، وهود (٣٣ – ٣٩) ، والمؤمنون (٣٣- ٤٠) ، والشعراء (١٢٤- ١٣٩) ، والاحقاف (٢١- ٢٥) .

[3] ينظر : القصة في القرآن الكريم : ١ / ٧٥ وما بعدها ، وخطاب الأنبياء (د. عبد الصمد عبد الله) : ٢٢ وما بعدها .

*** خصومة قوم صالح :**

وردت هذه الخصومة في سور (الأعراف ، وهود ، والشعراء ، والنمل) [١] .

*** خصومة قوم إبراهيم :**

وردت قصة إبراهيم (عليه السلام) وخصومة قومه له في مواضع كثيرة من القرآن الكريم فقد جاء الحديث عنها في سور : البقرة ، وآل عمران ، والأنعام ، والتوبة ، وهود ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل ، ومريم ، والأنبياء ، والحج ، والشعراء ، والعنكبوت ، والصافات ، والزخرف ، والذاريات ، وغيرها [٢] ، والسور التي وردت فيها مواقف الخصومة هي (البقرة ، الأنعام ، مريم ، الأنبياء ، والصافات) [٣] .

*** خصومة قوم لوط :**

وردت قصة لوط (عليه السلام) في سور متعددة من القرآن الكريم [٤] ، ودعوة لوط (عليه السلام) جاءت على غير المنوال الذي جاءت به الدعوات الأخرى من الأنبياء ، فقد دعوا أولاً إلى توحيد الله عز وجل ، وواجهوا بذلك الخصومات الشديدة من أقوامهم ، إلا نبي الله لوطاً (عليه السلام) ، فقد دعا قومه إلى إنكار ما هم عليه من المساوئِ الخلقية ، وإنكار الفواحش التي كانوا يأتونها – والتي لم يسبقهم بها أحد – قبل دعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيده بالعبادة ؛ لفضاعة ما هم عليه من سوء الخلق ، ((فقد كانوا يأتون من الفواحش أخسّها مظهراً ومخبراً إذ فشى فيهم الشذوذ الجنسي الخبيث إلى جانب رذائل أخرى تمثلت في قطع السبيل وإتيان المنكر في تجمعاتهم ، فكانت رسالة لوط (عليه السلام) إليهم حرباً على الشذوذ والانحراف ، وتقويماً للاعوجاج الخلقي المدمّر والسلوك القبيح الذي يأباه الحيوان

---

[١] ينظر : سور : الأعراف (٧٣ – ٨٠) ، وهود (٦١ – ٦٩) ، والشعراء (١٤١ – ١٦٠) ، والنمل (٤٥ – ٥٤) ، وينظر : خطاب الأنبياء ٣١ وما بعدها .

[٢] ينظر : القصة في القرآن الكريم : ١ / ١١٧ .

[٣] ينظر : سور : البقرة (٢٥٨) والأنعام (٧٤ – ٨٣) ومريم (٤١ – ٥١) والأنبياء (٥١ – ٦٨) والصافات (٨٣ – ١٠٠) ، وينظر : القصة في القرآن ١ / ١١٧ وما بعدها .

[٤] ينظر : سور : الأعراف (٨٠ – ٨٥) ، وهود (٧٧ – ٨٤) ، والحجر (٦١ – ٧٥) ، والشعراء (١٦٠ – ١٧٦) ، والنمل (٥٤ – ٥٨) والعنكبوت (٢٨ – ٣٦) .

الأعجم)) [1]، وقد علل أبو حيان (ت٧٤٥هـ) سبب تميز هذه الدعوة عن غيرها بعدم البدء بالدعوة إلى عبادة الله أن لوطاً (عليه السلام) كان من قوم إبراهيم وفي زمانه وقد سبقه إلى الدعاء لعبادة الله واشتهرت دعوته عند الخلق [2] . قال تعالى :﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف ٨٠ – ٨١] ، ومن هنا بدأت خصومة قومه له ، وهي من أشد الخصومات وأقبحها .

* **خصومة قوم شعيب :**

وردت قصة شعيب (عليه السلام) في سور متعددة من القرآن الكريم[3] وتبرز خصومة قومه له بعد أن دعاهم إلى عبادة الله الواحد سبحانه أولاً ومن ثَم إلى مكارم الأخلاق ، قال تعالى :﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف ٥٨] .

* **خصومة فرعون وملائه موسى (عليه السلام) :**

تعد قصة موسى (عليه السلام) ، وما حدث بينه وبين فرعون على رأس القصص التي تكرر الحديث عنها في القرآن الكريم ، في أكثر من عشرين سورة ، تارة بصورة مفصلة إذ يذكر فيها القرآن الكريم ما حدث من خصومة بين موسى وفرعون [4] ، وتارة بصورة مختصرة أو بإشارة عابرة .

وخصومة فرعون موسى هي من أشد الخصومات وأطولها نفَساً ، ففيها مشاهد التكبر والعناد بكل صورة متاحة ، فمن إدّعاء الربوبية كما قال تعالى بعد أن أرسل موسى الى فرعون :﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى ، ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ، فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

---

[1] خطاب الأنبياء : ٥٦ .
[2] ينظر : البحر المحيط : ٧ / ١٤٥ ، وروح المعاني (للآلوسي): ٢٠ / ١٥٣ .
[3] ينظر: القصة في القران الكريم: ٥/٢ وما بعدها .
[4] ينظر : سور : الأعراف (١٠٦ – ١٣٨) ، ويونس (٧٥ – ٨٢) ، وطه (٤٩ – ٧٩) ، والشعراء (١٨ – ٦٨) ، وغافر (٢٣– ٢٧) ، والزخرف (٤٦ – ٥٦) .

[النازعات ٢١ – ٢٤] ، والتهديد والوعيد قال تعالى :﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف ١٢٧] ، إلى الاتهام والتجريح ، فاتهمه بالسحر في قوله تعالى :﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ [طه ٧١] ، واتهمه باختلاط العقل والجنون في قوله تعالى :﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء ٢٧] ، واتهمه بالفساد في قوله تعالى :﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر ٢٦] ، وحرّض عليه بعد أن أوحى لوزرائه وكبرائه أن يقوموا محتجين على صبر فرعون على موسى [١] قال تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف ١٢٧] .

*** خصومة قريش لسيد الخلق محمد (ﷺ) :**

انمازت هذه الخصومة عن غيرها من خصومات الأقوام السابقة بكثرتها ، فالقرآن وهو الكتاب الذي أنزل على محمد (ﷺ) كثيراً ما كان يفضح اللهُ فيه المشركين المخاصمين ويرد على شبهاتهم ، ومن مميزاتها كذلك أن الله تعالى كان يأمر نبيه ويوجّهه بالرد على شبهات المخاصمين حينما يطلقونها ، ويمكن تقسيم القضايا التي خوصم النبي (ﷺ) لأجلها إلى :

١- قضية الإيمان بالله والتصديق به [٢] .

٢- قضية الإيمان باليوم الآخر [٣] .

٣- قضية الإيمان بالقرآن [٤] .

---

[١] ينظر : إن فرعون علا في الأرض (د. محمد أبو فارس): ٤٤ .

[٢] ينظر : يونس (٥٣) ، والأحقاف (٣ – ٥) وغيرها .

[٣] ينظر : يونس (٤٨) ، والإسراء (٥١) ، والأنبياء (٣٨) ، والنمل (٧١) ، والسجدة (٢٨) ، وغيرها .

[٤] ينظر : هود (٣٥) ، والاحقاف (٧ – ١٠) ، وفصلت (٤٣ – ٤٤) وغيرها .

٤- قضية الإيمان بنبّوته وتصديقه (ﷺ) [١] .

٥- قضية الإحياء بعد الموت [٢] .

٦- شبهة النصارى حول عيسى (عليه السلام) [٣] .

رابعاً / خصومة قابيل وهابيل :

وهي أوّل خصومة حدثت بين البشر على وجه الأرض ، وتوضح لنا نقطة البداية بين صراع الحق والباطل والخُبث والطيب ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الخصومة في سورة المائدة، يقول تعالى :﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة ٢٧] [٤] ، وهذا الخصومة ((تقدم نموذجاً لطبيعة البشر والعدوان ، ونموذجاً كذلك من العداون الصارخ الذي لا مبرر له كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والمسامحة ، ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة وتقِفُهما وجهاً لوجه)) [٥] ، مبينّة لنا الغرائز البشرية وطبائعها إذ جُبلت على التباين والاختلاف ، الذي يفضي إلى التحاسد ومن ثَمَ إلى الخصومة والقتل [٦] .

خامساً / خصومة صاحب الجنتين :

ذكرت هذه الخصومة في سورة الكهف ، قال تعالى :﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً ﴾ [الكهف ٣٢][٧] ، وتحمل هذه الخصومة صورة متضادة بين النفس الإنسانية المغرورة المتفاخرة بزينة الحياة الدنيا والجاحدة لنعم الله تعالى ، وصورة النفس الإنسانية المتواضعة المعتزة بعقيدتها السليمة الذاكرة لربها [٨] .

---

[١] ينظر : يونس (٢٠) ، وسبأ (٤٣ – ٤٦) ، وص (٤ – ١٠) ، وق (٢ – ٥) .
[٢] ينظر : المؤمنون (٨٢) ، ويس (٧٨ – ٧٩) ، والصافات (١٦) ، والجاثية (٢٤ – ٢٦) وغيرها .
[٣] ينظر : آل عمران (٦١) .
[٤] ينظر : سورة المائدة (٢٧ – ٣١) .
[٥] في ظلال القرآن (سيد قطب ابراهيم) : ٢ / ٨٧٤ .
[٦] ينظر : تفسير المراغي (احمد مصطفى المراغي) : ٦ / ٩٧ .
[٧] ينظر : الكهف (٣٢ – ٤٣)
[٨] ينظر : القصة في القرآن الكريم : ٢ / ٢٦٦ .

((اسباب الخصومة))

لابد لكل صراع أو نزاع دافع أو سبب يؤدي إلى ما انتهى إليه . وقد تعددت الأسباب التي كانت دافعاً قوياً في نشوب الخصومات التي ذكرها القرآن الكريم ، وهذه الأسباب جاءت متنوعة ما بين مادّية ومعنويّة أو داخلية وخارجية أدت – متواشجة مع أسباب أخرى – إلى الخصومة ، ومن خلال استعراض نصوص الخصومة الواردة في القرآن الكريم يمكن تلمس هذه الأسباب التي منها :

*** التقليد العقائدي :**

إن من الأسباب التي أدت إلى الخصومة في القرآن ما يسمى بـ(التعصّب العقائدي) أي التمسك بعقائد السابقين والميل لأفكارهم وعاداتهم ، وعدم الإيمان بالأفكار التي تعرض إليهم ، والتقليد هو أسوأ سبيل تسلكه أمة وهو أفتك شيء بالعقل الإنساني وأشد وهناً للأمة [1] .

ونجد هذا السبب واضحاً في خصومات الأقوام أنبيائهم ، ففي قصة إبراهيم (عليه السلام) نرى ذلك واضحاً في جواب القوم له كما في سورة الأنبياء قال تعالى :﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء ٥٣] ، ((وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة ، في مقابل حرية الإيمان وانطلاقه للنظر والتدبر ، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية ، فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداسات الوهمّية التقليدية ، والوراثات المتحجّرة التي لا تقوم على دليل)) [2] ، والتقليد ((هو العصا التي يتوكأ عليها كل عاجز والحبل الذي يتشبث به كل غريق)) [3] ، فليس لهؤلاء حجة في عبادتهم لهذه التماثيل إلاّ أنهم رأوا آباءهم يعبدونها ، فيصرّون على هذه السنة ويتشبثون بها ، حتى تؤدي بهم إلى الخصومة والمنازعة ، فقد خاصم فرعون وملاؤه موسى (عليه السلام) ، واحتجوا عليه على ما جاء به قال تعالى :﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا

---

[1] ينظر : آل حم دراسة في أسرار البيان (د. محمد ابو موسى) : ٣١٣ .
[2] في ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٨٥ ، وينظر : القصة في القرآن الكريم : ١ / ١٣٠ .
[3] تفسير المراغي : ١٧ / ٤٤ .

وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٧٨] ، فقد قدّموا سنة الآباء وعظمتهم الخيالية والأسطورية كي يجعلونها فاتحة خصومتهم موسى (عليه السلام) [١] ، وهذه العلة – علة التقليد المتوارث – قديمة جديدة ، تدفع بالطغاة إلى مقاومة الدعوات ، ومخاصمة الدعاة [٢] ، فقد قالها قبلهم قوم نوح (عليه السلام) قال تعالى :﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون ٢٤] [٣] ، وقالتها بعدهم قريش للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى :﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف ٢٢] ، ومن غرائب تعصبهم لباطلهم الذي نشأوا عليه ، وتوارثوه عن آبائهم أنهم قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال ٣٢] ، فلم يكن لهؤلاء من دليل إلاّ التقليد الأعمى للآباء والأجداد [٤] .

*** السلطة والمنصب :**

وهذا السبب هو أكبر الأسباب التي جرّت إلى الخصومة والعداوة والمنازعة بل التآمر بالقتل في بعض الأحيان ، فأبو جهل وغيره من مشركي قريش كانوا يعرفون أن (لا إله إلا الله) تعني ذهاب سلطتهم في مكة وتساويهم مع عبيد مكة ، لأن أكرمهم عند الله أتقاهم ، ((وكانوا يعرفون أن توحيد الألوهية وإفراد الله سبحانه بها تعني نزع السلطان الذي يزاوله الكهان ومشيخة القبائل والأمراء والحكام ، ورده كله لله)) [٥] ؛ لذلك حاربوا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصموه حتى اضطر للهجرة للخلاص من أذاهم .

ونرى – كذلك – هذا السبب واضحاً في خصومة فرعون وملائه موسى (عليه السلام) قال تعالى على لسان قوم فرعون :﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٧٨] ، فالسيادة والزعامة الدنيوية هي خط أحمر لا يمكن تجاوزها ، وإذا تجاوز موسى هذا الأمر فيعني ذلك ذهاب السلطة

---

[١] ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (ناصر مكارم الشيرازي) : ٦ / ٣١٣ – ٣١٤ .
[٢] ينظر : في ظلال القرآن : ٣ / ١٨١٤ .
[٣] وينظر : الأعراف : ٧٠ ، وهود : ٦٢ ، ٨٧ .
[٤] ينظر : المراغي : ٢٥ / ٨٠ ، والأمثل : ١٦ / ٣٣.
[٥] معالم في الطريق (سيد قطب إبراهيم) : ٢٢ .

، وإبطال شرعية الحكم أو محاولة قلب النظام ، فحينما أدرك فرعون وملؤه خطورة هذه الدعوة ، دعوا إلى خصومة موسى ومقاطعته ومحاربته [١] .

*** الغرور والتكبر :**

وهما من الصفات المذمومة التي تورث الضلال وعدم الهداية ؛ لأن المتكبر والمغرور يرى أنه أفضل الخلق وأن له من الحق ما ليس لغيره ، قال تعالى:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف ١٤٦] قال الغزالي (ت٥٠٥هـ): المتكبر ((هو الذي يرى الكلَّ حقيراً بالإضافة إلى ذاته ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلاّ لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد ، فإن كانت هذه الرؤية صادقة كان التكبر حقاً ، وكان صاحبها متكبراً حقاً)) [٢] . وقد عرّف التهانوي (ت١١٥٨هـ) الكبر بقوله :((اعتبار الإنسان نفسه خيراً من الآخر)) [٣] . أما الغرور فهو كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وسلطان وغير ذلك [٤] . أو هو ((سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع)) [٥] .

وخلاصة الكلام ان الغرور والتكبر ((من أقبح الأمور التي يبتلى بها الإنسان إذ إنهما يسدلان الستار على عينه وبصيرته ويحرماه*كذا من إدراك الحقائق وفهمها ، ويؤدّيان إلى التمرّد والعصيان ويخرجانه أيضاً من صفوف المؤمنين المطيعين إلى صف الكافرين الباغين والطاغين)) [٦] .

لقد كان الغرور والتكبّر سببين كبيرين في دفع النمرود إلى محاجّة إبراهيم وخصومته ، فالدافع الأساس لهذه الخصومة ، أنّ ذلك الجبار تملكه الغرور والكبر [٧] ، فظل يجادل

---

[١] ينظر : في ظلال القرآن : ٣ / ١٣٤٨ .
[٢] المقصد الأسنى (ابوحامد الغزالي) : ٧٢ ، وينظر : إحياء علوم الدين (ابوحامد الغزالي) : ٣ / ٣٣٥ .
[٣] كشاف اصطلاحات الفنون : ٢/ ١٣٥٨ .
[٤] ينظر : المفردات (غرر) : ٤٦٥ .
[٥] التعريفات : ٢٠٨ .
*كذا والأصح (يحرمانه)
[٦] الأمثل : ١٤ / ٥٥٥ .
[٧] ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٦٨ .

ويحاجج إبراهيم (عليه السلام) حتى بهته بقوله :﴿ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة ٢٥٨] .

والغرور والكبر من الأسباب التي دفعت فرعون الى إنكار نبوة موسى (عليه السلام) ومخاصمته فقد جاء في قوله مخاطباً قومه :﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف ٥٢] ، ولا شك أن هذه الأقوال التي تقوّل بها فرعون ((تدل على شدّة طغيانه وعلى عظم غروره وعلى استغلاله الضخم لغفلة قومه ، وسفاهتهم وضعفهم)) [١] ، فاعتزاز فرعون وتباهيه بماله من ملك ومن سلطان وتساؤله في عز وخيلاء وانتفاضه على موسى عبد الله ورسوله [٢] ، ما هو إلاّ مظهر من مظاهر الغرور والتكبر والعزّة الزائفة حتى صدق الله سبحانه بوصفه :﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص ٤] .

ويبرز دافع الغرور والتكبر واضحاً في خصومة قوم نوح معه ، فحينما أمرهم بإتباعه أجابوه بقولهم :﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود ٢٧] ، لقد أجاب القومُ نوحاً بغطرسة وغرور وكبرياء ، ما نرى أحداً اتبعك إلا من هم أراذلنا وأخساؤنا وسفلتنا ، وعيرّوا نوحاً بأن الفقراء هم الذين صدّقوه ، ولأجل ذلك خاصموه [٣] .

*** الحسد :**

من الأسباب المؤدية للخصومة الحسد ، وهي صفة ذميمة تؤدي بصاحبها إلى الضغينة ومن ثَم إلى الخصومة ، والحسد كما يقول الجرجاني(ت٨١٦هـ) :((تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد)) [٤] أو ((تمني زوال نعمة من مستحق لها ، وربما كان مع

---

[١] القصة في القرآن الكريم : ١ / ٤١٧ .
[٢] ينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٣١٩٢ .
[٣] ينظر : نظرات في كتاب الله (زينب الغزالي) : ١ / ٦٢٨ .
[٤] التعريفات : ١١٧ .

ذلك سعي في إزالتها)) [1] ، إذن فالحاسد وما يحمله من بغض للآخر يتمنى زوال نعمته ، ولا يكتفي بذلك بل يسعى لإزالتها .

وهناك الكثير من الخصومات الواردة في القرآن الكريم ، كان الحسد دافعاً كبيراً لحدوثها ، منها خصومة إبليس لربه سبحانه وتعالى ، قال تعالى :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ [الأسراء ٦١] ، فنرى أن حسد إبليس لآدم جعله ((يذكر الطين ويغفل نفخة الله في هذا الطين)) [2] ، ولأنه الحسد ذلك الدافع الذميم فإبليس لم يكتف بذلك ، فبعد أن علم ((أن الحسد قد أبعده ونزل به عن ساحة الرضى وأقعده تمادى فيه ، فسأل ما يتسبب به إلى إنزال المحسودين عن درجاتهم العالية إلى درجته السافلة ، ولم يسأل بشقاوته فيما يعليه من دركته السافلة إلى درجاتهم العالية ... فقال أنظرني)) [3] ، فطلب الانظار كان لأجل الإنتقام قال تعالى :﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف ١٤ – ١٧] .

وبهذا يتضح لنا مفهوم الخصومة واستعمال القرآن الكريم لصيغتها المتنوعة فضلا عن الألفاظ التي قاربت لفظ الخصومة من ناحية المعنى والدلالة كالمجادلة والمحاجّة والمنازعة وغيرها .

وقد خصّ الباحث في هذا الفصل الخصومة الواردة في القرآن الكريم من خلال بيان أنواعها التي تعددت وتنوعت فمنها ما كان بين المخلوق والخالق ، وما بين المخلوقين أنفسهم كخصومات أقوامهم الأنبياء وغيرها ، فضلا عن بعض الأسباب المستَشفّة والتي كانت دافعاً رئيساً للتنازع والتخاصم .

---

[1] المفردات (حسد) : ١٥٤ .
[2] في ظلال القرآن : ٤ / ٢٢٣٨ .
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (برهان الدين البقاعي) : ٧ / ٣٦٧ .

الفصل الاول :

(دلالة الأساليب النحوية في سياق الخصومة)

المبحث الأول : أسلوب الاستفهام

المبحث الثاني : أسلوب النداء

المبحث الثالث : أسلوب النفي

المبحث الرابع : أسلوب الأمر

المبحث الخامس : أسلوب الشرط

المبحث السادس : أسلوب التوكيد

الفصل الاول

﴿ دلالة الأساليب في سياق الخصومة ﴾

إن البحث عن المكنونات الدلالية للسياق يحملنا على دراسة الأساليب وما تحملها من دلالة .

وفي هذا الفصل سنتعرف على أهم الأساليب النحوية ، التي كانت لها دلالات واضحة في سياق الخصومة وهي :

* أسلوب الاستفهام .
* أسلوب النداء .
* أسلوب النهي .
* أسلوب النفي .
* أسلوب الأمر .
* أسلوب الشرط .
* أسلوب التوكيد .

المبحث الأول

أسلوب الاستفهام

الاستفهام من الأساليب المستعملة بكثرة في سياق الخصومة ومواقفها ، فهو واحد من أهم وسائل إثارة الحوار وتقرير الحجج ، فضلاً عمّا يثيره من معانٍ مجازية تخرج عن المعنى الأصلي للاستفهام ، والجدير بالذكر أن مواقف الخصومة تعتمد على الجدال والمحاورة ، فمن هنا كان من الطبيعي أن نرى كثرة الأسئلة بين المتخاصمين ، فالعقبة التي كانت تواجه الأنبياء (عليهم السلام) في دعوتهم إلى الله هي الأسئلة والاستفهامات حول الله تعالى وأمور تتعلق به [١] ، والمخاصِم يلجأ إلى إثارة الأسئلة تارة لصرف خصمه عمّا يدعوه إليه ، وتارة لإفحامه والتغلب عليه ، وهذا واضح جلي في خصومات الأقوام المكذبة أنبيائهم .

والاستفهام : من الأساليب الإنشائية التي تفيد الطلب وأصله من الفهم ، أي معرفتك الشيء بالقلب [٢] ، وقد سمّاه بعض العلماء بالاستخبار [٣] .

والإستفهام :((هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن)) [٤] ، أو هو ((طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام)) [٥] ، ويؤدّى عن طريق أدوات محددة وهي : (الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكم ، وأين ، وأنّى ، ومتى ، وأيّان) [٦] .

---

[١] ينظر : تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف (د.حسن الدجيلي): ١١٨ .
[٢] ينظر: لسان العرب (فهم): ٤ / ٣٤٨١ .
[٣] ينظر : الصاحبي في فقه اللغة (أحمد بن فارس): ٢٩٢ ، والبرهان في علوم القرآن (الزركشي) : ٢ / ٣٢٦ .
[٤] التعريفات : ٣٧.
[٥] الطراز (العلوي): ٣ / ١٥٨ .
[٦] ينظر :جامع الدروس العربية (مصطفى الغلاييني): ١ / ١٠٣ و ٣ / ١٨٨ ، ومعاني النحو (د. فاضل السامرائي): ٤ / ١٩٩ وما بعدها ، والخلاصة النحوية (د. تمام حسان): ١٤٢ ، ومن بلاغة النظم القرآني (بسيوني عبد الفتاح): ١٨١ – ١٨٢ .

والاستفهام من الأساليب التي تعتمد على طلب الفهم الذي يتأتّى عن طريق التصور الذهني ، الذي يتعلق بمفرد ، أشخصاً كان أم شيئاً آخر ، أو يتعلق بحكم أو نسبة ، سواء أكانت النسبة على أساس اليقين أم الظن أم الشك [1] .

والاستفهام في القرآن الكريم فيه الحقيقي الذي يراد منه طلب الفهم ، وغير الحقيقي [2] ، وأكثر الاستفهامات الواردة فيه صادرة عن الله تعالى وحاشا لله أن يطلب الفهم من أحد – تعالى الله عن هذا الأمر – فالاستفهام فيه غير حقيقي ، فالله تعالى يستفهم عباده لمعانٍ أخرى غير طلب الفهم [3] .

ويؤدّي الاستفهام – وهو أكثر أساليب الطلب استعمالاً في مواقف الخصومة – غرضاً من التنبيه حينما يخرج إلى معانٍ مجازية ، وبذلك يكون أداةً للإقناع والاحتجاج ، ((وحين يخرج الاستفهام إلى أسلوب مجازي إنّما يؤدّي ظاهرة جمالية وبلاغية لا تعرف في الأسلوب الحقيقي)) [4] .

والاستفهام من وسائل الخصام المتعددة الاستعمال ، فقد يستعمله المخاصم للإنكار، من ذلك ما جاء في قول نوح (عليه السلام) :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود ٢٨] ، فجملة (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) للإنكار ، أي لا يكون هذا الإلزام [5] ((ففي الاستفهام إنكار تكذيبي لأن يلزمهم بالرحمة وهي هدى النبوة الذي لا ريب فيه ، وما داموا لم يقتنعوا فليس في شرع الله أن يلزم عقل الإنسان بأمر أنكره مهما كانت حجة البراهين وقوّة الحجج ووضوح الأدّلة ؛ لأن المطلوب هو أن يقنع هذا العقل وأن يتصرف باختياره حتى يقع الجزاء

---

(1) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه (د . مهدي المخزومي) : ٢٦٤ .
(2) يسمى الاستفهام غير الحقيقي بـ(المجازي) وهو الذي لا يستدعي جواباً كالذي يستدعيه الاستفهام الحقيقي . ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين (د. قيس الأوسي) : ٤١٩ .
(3) ينظر : المقتضب (المبرد) : ٣ / ٢٩٢ ، والبرهان في علوم القرآن : ٢ / ٣٢٧ ، والإتقان (السيوطي) : ٥٧٦ ، ومعترك الأقران (السيوطي) : ١ / ٣٢٨ ، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري (محمد أبو موسى) : ٢٩٤ _ ٢٩٥ .
(4) جمالية الخبر والإنشاء (د. حسين جمعة) : ١٤١ .
(5) ينظر:البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٣٣٠ ، والإتقان : ٥٧٦ .

والعقاب على سلوك حر مختار)) [١] ، وقد ياتي الاستفهام على حقيقته كما جاء في خصومة قوم إبراهيم (عليه السلام) بقولهم :﴿ مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء ٥٩] ، فقد صدر منهم هذا القول بعد أن رأوا آلهتهم مهدّمة ، فهالهم هذا الأمر فأطلقوا هذا الاستفهام منكرين ومتعجبين من هذا الأمر [٢] ، وقد ذكر أبو حيان أنهم ((استفهموا على سبيل البحث والإنكار)) [٣] ، أي أنه ليس للإنكار الحقيقي ، فالأظهر فيه ((أنه حقيقي مشوب بالإنكار ؛ لأن القوم لم يكونوا يعرفون من قام بهذا العمل الجريء ، واشتغال أنفسهم بمعرفة الفاعل والبحث عنه أشد حضوراً في النفس من الإنكار عليه)) [٤] .

ويتضح مدى تعنت الخصم المنكِر لرب العالمين ، في قول فرعون لموسى :﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ٢٣] ، فقد أنكر فرعون وجودَ رب سواه هو [٥] ، وقد ذكر الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) أن فرعون قد استفهم هنا عن ماهيّة رب العالمين ((أي أبشر هو أم ملك أم جنّي)) [٦] ، والجدير بالذكر أن لفرعون مواقف أخرى ، يجزم فيها أنه منكر لله عز وجل ، ومدع أنه وحده هو رب العالمين ولا رب سواه [٧] ، فالإنكار واضح من هذا الاستفهام .

وقد يشوب الإنكار التوبيخ والتبكيت في كلام المستفهِم ، والتوبيخ يفيد أن المخاطب فعل فعلاً يستلزم توبيخه عليه [٨] ، من ذلك ما جاء في استفهام إبراهيم(عليه السلام) قومه : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات ٩٥] ، فواضح تبكيتهم من خلال الفعل (تنحتون) فقد نبههم بأن ما يعبدونه ((اجتمعت فيه خسّتان ، أحدهما أنه جماد لا روح

---

(١) خطاب الأنبياء : ٢٠٨ ،وينظر : صفوة التفاسير (محمد علي الصابوني) : ٢ / ١٠ .
(٢) ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ١٨٣ ، والقصة في القرآن الكريم : ١/ ١٣٢ .
(٣) البحر المحيط : ٦ / ٣٠٢ .
(٤) التفسير البلاغي للاستفهام (د. إبراهيم المطعني) : ٢ / ٣٧٨ – ٣٧٩ .
(٥) ينظر : الكشاف : ٤ / ٣٨٥ .
(٦) روح المعاني : ١٩ / ٧١ .
(٧) ينظر : سورة القصص ٣٨ ، والنازعات ٢٤ .
(٨) ينظر : معاني النحو : ٤ / ٢٠١ .

فيه ولا إحساس فيه ، والأخرى أنه مصنوع بأيديهم ، والإله الحق يكون صانعاً لا مصنوعاً)) [1] ؛ لذلك كان أدعى لإبراهيم (عليه السلام) استنكاره هذا الأمر وتوبيخهم عليه .

وقد يعبّر الاستفهام الاستنكاري عن نفسيّة الخصم المشمئزّة من الأفعال القبيحة كما هو الحال في استنكار لوط (عليه السلام) على قومه في قوله تعالى :﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٦٥] ، فقد خالفوا الفطرة السليمة بهذا الفعل القبيح ، فجاء استفهامه للإنكار والتقريع [2] ، ولقوة موجبات هذا الإنكار ((يرقى إلى درجة النهي الغاضب أي لا تأتوا الذكران من العالمين)) [3] .

ومن المعاني التي يبعثها الاستفهام في مواقف الخصومة التقرير أو (الاستفهام التقريري) ، وهو الذي يقرر فكرة من الأفكار ، يحمل المخاطَب على الإقرار بها [4] ، ويختص في الواقع بعد النفي سواء كان السؤال (بما ، أو لم ، أو ليس ، أو لمّا) [5] ، ((ويرد لمعانٍ متعددة منها استدراج الخصم وإلجاؤه إلى الاعتراف)) [6] بأمور عديدة ، وقد تكرر هذا الاستفهام في مواقف الخصومة منه ما جاء في خطاب فرعون موسى (عليه السلام) :﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ [الشعراء ١٨] ، والمعروف أن موسى (عليه السلام) قد تربّى في بيت فرعون ، وقد جعل فرعون هذا الاستفهام تقريرا على نفي التربية ، ومقصوده الإقرار – من جانب موسى – بوقوعها ؛ مجاراةً لحال موسى الذي رأى فيه جرأةً عليه لا تناسب حال من هو ممنون لأسرته بالتربية [7] .

وقد يكون الاستفهام أداة للخصم يبرز فيها روح السخرية والاستهزاء ، كما هو الحال عند قوم شعيب في خطابهم له :﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء ﴾ [هود ٨٧] ، فقد قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ، فهم

---

[1] التفسير البلاغي للاستفهام : ٣ / ٣٧٩ ، وينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٢٩٩٣ .
[2] ينظر : صفوة التفاسير : ٢ / ٢٦٧ .
[3] التفسير البلاغي للاستفهام : ٣ / ١١٤ .
[4] ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : ١٤٢ ،وأساليب المعاني في القرآن (جعفر الحسيني) : ٨٦ .
[5] ينظر : جواهر الأدب في معرفة كلام العرب (علاء الدين الأربلي) : ١٤٠ .
[6] خطاب الأنبياء : ٢١١ .
[7] ينظر : التحرير والتنوير (الطاهر بن عاشور) : ١٩ / ١١١ .

يستهزئون بصلاته التي يزعم أنها تأمر بالخير وتنهى عن الشر ، وتأمره أن ينهاهم عمّا يعبد آباؤهم [١] .

ومنه ما جاء في خطاب المستكبرين من قوم صالح للمستضعفين منهم في قوله تعالى : ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الأعراف ٧٥] ، فهذا الاستفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف [٢] ؛ لمّا ظنوا في صالح (عليه السلام) أنه كذاب وأنه ليس برسول .

ويأتي الاستفهام في معنى (اللوم والعتاب) وهو أخفُّ من الإنكار والتوبيخ ، لذلك ورد في كلام إبراهيم (عليه السلام) ؛ تلطفاً في خصومته مع أبيه [٣] ، في قوله تعالى :﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾ [مريم ٤٢] .

وبهذا يكون للاستفهام أهميّة بارزة في سياق الخصومة ومواقفها ؛ لوفرة أداوته التي يؤدّى بها ، وكثرة المعاني التي يخرج إليها ، وتظهر من خلال السياق ، لذلك فهو أداة قوية لإقناع المقابل والتأثير به .

---

[١] ينظر : مجمع البيان : ٥/ ٣٢١ ، ومن بلاغة القرآن (د. أحمد أحمد بدوي) : ١٢٨ .
[٢] ينظر : المحرر الوجيز (ابن عطية) : ٣ / ٦٠٤ .
[٣] ينظر : خطرات في اللغة القرآنية (د.فاخر الياسري) : ١١٦ .

المبحث الثاني

أسلوب النداء

إن أسلوب النداء من أساليب الإنشاء الطلبي وأصله ((تنبيه المدعو ليقبل عليك)) [١] أي ((طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروفه المخصوصة)) [٢] .

والنداء ليس مقصوداً بذاته ، إنما هو لتنبيه المخاطَب ليصغي إلى ما يجيء بعده من الكلام المنادى له ، حتى تخصه من بين الناس بأمرك أو نهيك أو استفهامك أو خبرك [٣] ، قال سيبويه (ت١٨٠هـ) : ((إن المنادى مختص من بين أمته لأمرك أو خبرك)) [٤] .

وأدواته التي يؤدّى بها هي :(الهمزة ، وأيْ ، ويا ، وهيا ، وآ ، وأيا ، ووا) [٥] ولم يستعمل القرآن الكريم من هذه الأدوات إلاّ (يا) [٦] وقد سمّيت أم الباب ؛ لأنها تدور في جميع وجوده ، فهي تستعمل في نداء القريب والبعيد والمستيقظ والنائم والغافل والمقبل ، كما تستعمل في الاستغاثة والتعجب [٧] ، وغيرها من المعاني .

وقد تعددت المعاني المصاحبة لأسلوب النداء في سياق الخصومة ، فالنداء قد يراد منه التنبيه والتذكير لأمر معين ، كما في نداء الأنبياء لأقوامهم : كقول نوح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ ﴾ [هود ٢٨] ، وقول هود

---

[١] الأصول في النحو(إبن السراج) : ١ / ٣٢٩ .
[٢] عروس الأفراح – شروح التلخيص (بهاء الدين السبكي) : ٢ / ٣٣٣ .
[٣] ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٢١٨ .
[٤] كتاب سيبويه : ٢ / ٢٣١ – ٢٣٢ .
[٥] ينظر : جامع الدروس العربية: ٣ / ١٠٦ ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها (د. أحمد مطلوب) : ٣ / ٣٢٧ .
[٦] ينظر : معاني النحو : ٤ / ٢٧٥ .
[٧] ينظر : شرح المفصل (موفق الدين بن يعيش) : ٥ / ٤٩ ، والمقرب (ابن عصفور الأشبيلي) : ١ / ١٧٥ ، وهمع الهوامع (السيوطي) : ١ / ٢٧ .

(عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ ﴾ [هود ٥٠] ، وغيره كثير [١] ، وهذه النداءات بمثابة افتتاح للدعوة ، لاسترعاء الأسماع إشارة إلى أهمّية ما سيلقي إليهم [٢] .

وقد جاءت هذه النداءات بوصف القوم مضافاً إلى ضمير المتكلم ؛ لتذكيرهم بآصرة القرابة ، ولاستنزال طائر نفورهم ، تذكيراً لهم بأنه منهم فلا يريد لهم إلاّ خيراً [٣] .

ومن المعاني المصاحبة للنداء في هذا السياق ، التحقير والاستهزاء ، وتصغير الشأن ، من ذلك ما ورد في رد الأقوام على أنبيائهم ، كردّ قوم نوح في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود ٣٢] ، وردّ قوم هود في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ [هود ٥٣] ، وردّ قوم صالح في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا ﴾ [هود ٦٢] ، وردّ قوم شعيب في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ وقولهم :﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود ٨٧ ، ٩١] ، فجاءت هذه النداءات تهويناً لشأن المنادى وتعريضاً بما يظنون من عجزه [٥] .

ومن معاني الاستهزاء نداء المشركين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر ٦] ، فهذا النداء للاستهزاء والسخرية منه (صلى الله عليه وآله وسلم) [٦] .

ونداء الأقوام لأنبيائهم يكشف لنا عن أوضاعهم النفسية ، ويرمز إلى الهوّة السحيقة بين واقع الرسل وهؤلاء المخاصمين لهم .

---

[١] ينظر : سور الأعراف (٥٩ – ٦١ – ٦٥ – ٦٧ – ٧٣ – ٧٩ – ٨٥ – ٩٣) ،ويونس (٧١) ، وهود (٢٨ – ٢٩ – ٣٠ – ٥٠- ٥١ – ٥٢ – ٦١ – ٦٣ – ٦٤ – ٧٨ – ٨٤ – ٨٥ – ٨٨ – ٨٩ – ٩٢ – ٩٣) ، والمؤمنون (٢٣) ،والنمل (٤٦) ، والعنكبوت (٣٦) .

[٢] ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٩٤ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه : ٨ / ١٨٨ ، ٨ / ١٩٢ .

[٥] ينظر : تفسير المنار (محمد رشيد رضا) : ٨ / ٥٠٧ .

[٦] ينظر: الكشاف : ٣ / ٣٩٨ ، والميزان : ١٢ / ٩٨ .

وقد يعبر الخصم عن تعجبه واستنكاره بإطلاق النداء مع قصد التنبيه ، كما في نداء إبراهيم (عليه السلام) من أبيه في قوله تعالى :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [مريم ٤٦] ، فقد استنكر عليه بالاستفهام الوارد رغبته عن عبادة آلهته ، والنداء تكملة لجملة الإنكار والتعجب ؛ ((لأن المتعجب من فعله مع حضوره ، يقصد بندائه تنبيهه على سوء فعله ، كأنه في غيبة عن إدراك فعله ، فالمتكلم ينزل منزلة الغائب فيناديه لإرجاع رشده)) [١] .

وقد يقصد بالنداء إقامة الحجة والتوبيخ والتعريض ، كما في نداء بني إسرائيل من قبل عيسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ [الصف ٦] ، فالنداء بالمضاف يا بني إسرائيل هو لإقامة الحجة عليهم ، والكشف عن أحوالهم ، وتنبيههم عن غفلتهم وعدم إتباعهم [٢] .

وبهذا يكون أسلوب النداء أداة بارزة من مقومات الخطاب ، لأنه أسلوب يُعمد إليه بالإصغاء للمنادى ، وفي ذلك أهمية لا تنكر عن التخاطب .

---

[١] التحرير والتنوير : ١٦/ ١١٩ .
[٢] ينظر : النداء في القرآن الكريم (د. معن الحيّالي) : ١٣٠ .

المبحث الثالث

أسلوب النفي

النفي أسلوب من أساليب العربية يستعمله المتكلم للنقض والإنكار [١] ، وهو ((شطر الكلام كلّه ، لأن الكلام إما إثبات أو نفي)) [٢] ، ويؤدّى النفي من خلال أدوات هي (لم ولمّا ولن وليس وما وإنْ ولا ولات وغير) [٣] . وتستعمل هذه الأدوات حسب السياق ، وقد تعدد ورود هذه الأدوات في سياق الخصومة ومواقفها لمعانٍ ودلالات متنوعة ، منها (الدعاء) فقد يرد هذا المعنى في كلام المتخاصمين وهو بمثابة وسيلة يستعملها الخصماء لمواجهة خصومهم ، من ذلك ما ورد في خصومة أهل النار في قوله تعالى :﴿ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ ﴾ [ص ٦٠] ، فجملة (لا مرحباً) تنفي معنى الرحب والمودة ، فقد نفى المتخاصمون الرحب والسعة عن بعضهم [٤] .

وهذا النفي يكشف لنا عن نفسية المتخاصمين في هذا الموقف وما تحمله نفوسهم من بغض وكره ، دعاهم إلى التراشق بالدعوات .

ويأتي النفي أداة لرد التهم والشبه على لسان الأنبياء بعد إطلاقها من خصومهم ، من ذلك ما جاء في خطاب نوح (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٦١] ، رداً على قولهم :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ ، فقد نفى أن يكون علق به أدنى شيء من الضلال الذي اتهموه به ، فالمبالغة واضحة بالنفي ؛ لأنهم بالغوا في الإثبات [٥] .

ومثله رد هود على قومه في قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٦٧] ، بعد أن اتهموه بقولهم :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ و

(١) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٤٦ .
(٢) البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٣٧٥ .
(٣) ينظر : معاني النحو : ٤ / ١٦٢ ـ ١٨٠ ، والخلاصة النحوية : ٧١ ، وفي النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
(٤) ينظر : الميزان : ١٧ / ٢١٩ .
(٥) ينظر : تفسير المنار : ٨ / ٤٩٣ ، وإرشاد العقل السليم : ٢ / ٣٥٣ .

((الكلام في الآية نظير الكلام في نظيره من قصة نوح غير أن عاداً زادوا وقاحة على قوم نوح . حيث إن أولئك رموا نوحاً بالضلال في الرأي وهؤلاء رموا هوداً بالسفاهة)) [1] .

ويأتي النفي ليصوّر لنا مدى عناد المخاصمين وكبرهم وافترائهم في مواجهتهم للأنبياء (عليهم السلام) ، من ذلك ما صدر عن قوم هود بقولهم :﴿ قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ [هود ٥٣] ، فهذا كذب منهم وجحود [2] ، فالدعوة بزعمهم خالية من الحجة ، والآية المعجِزة ، ولا موجب للاصطفاء إلى ما هذا شأنه [3] ، وما قالوا ذلك إلاّ لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاء من البينات [4] .

ومنه كذلك قول قوم شعيب له في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود ٩١] ، والمنقول عن النبي شعيب (عليه السلام) ، أنه فصيح مقوال وأنه خطيب الأنبياء[5] ، فكيف جاء النفي من قومه أنهم لا يفقهون ما يقول ؟ قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) :((ومرادهم من هذا يحتمل أن يكون المباهتة كما حكى الله عن المشركين :﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ [فصلت ٥] ، وقوله عن اليهود :﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة ٨٨] ، ويجوز أن يكون المراد ما نتعقّلَه لأنه عندهم كالمحال لمخالفته ما يألفون ، كما حكى الله عن غيرهم بقوله :﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص ٥] ، وليس المراد عدم فهم كلامه ... فالمعنى إنك تقول ما لا نصدق به ، وهذا مقدمة لإدانته واستحقاقه الذم والعقاب عندهم في قولهم :﴿ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾)) [6] ، وربما يحتمل المعنى أنهم جعلوا كلامه من قبيل مالا

[1] الميزان : ٨ / ١٧٨ .
[2] ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٨ .
[3] ينظر : الميزان : ١٠ / ٣٠٠ .
[4] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣ / ٥٧ .
[5] ينظر : جامع البيان : ١٢ / ١٣٨
[6] التحرير والتنوير : ١٢ / ١٤٨ .

يفقه معناه ، ولا يدرك فحواه ، وليس فيه محتوى ولا منطق قيّم حتى يتدبروه [1] ، وكلا المعنيين يدلان على العناد والمكابرة على الباطل .

فالنفي يعبّر عن الرفض وعدم القبول ، ويأتي استعماله في مواقف الخصومة متواشجاً مع ما تحمله هذه المواقف من فِكَر تتصف بالرفض والعناد ، وبذلك يكون هذا الأسلوب أداةً صالحة للاستعمال في هذا الغرض .

[1] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣ / ٨٤ ، والأمثل : ٧ / ٤٣ .

المبحث الرابع

أسلوب الأمر

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الخطابية ، وهو أحد أساليب الإنشاء الطلبي التي تخرج إلى المجاز ، فتظهر معها معانٍ ودلالات تُفهم من السياق ، وقد عُرّف بأنه : ((طلب الفعل ممّن هو دونك وبعثه عليه)) [١] وقال العلوي (ت٧٠٥هـ) هو :((صيغة تستدعي الفعل . أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء)) [٢] أو ((طلب الفعل على وجه التكليف والإلزام بشيء لم يكن حاصلاً قبل الطلب وفي وقته على جهة الحقيقة أو المجاز)) [٣] وطلب الفعل في العربية يؤدّى بصيغ مختلفة هي :

- الأمر بصيغة (افعل)
- الأمر بصيغة الفعل المضارع المسبوق باللام (لتفعل)
- الأمر بالمصدر النائب عن فعل الأمر
- الأمر بأسماء الأفعال [٤]

ويصاحب الأمر دلالات متعددة تفهم من خلال السياق ، وقد تعددت الدلالات في صيغ الأمر الواردة في سياق الخصومة ومواقفها أغلبها اتصفت بالحدّة والغلظة ، منها (الالتماس) وهو شبيه بالدعاء والرجاء ، لكنّ البلاغيين قد خصوه عادةً بأسلوب الأمر بين المتساويين في المنزلة على سبيل الاحترام والتلطف [٥] ، والذي يبدو أن هذه الدلالة تأتي في بداية كل خصومة ، وقد ظهرت جلية في بداية دعوات الأنبياء لأقوامهم لما

---

[١] الكشاف : ١ / ٢٤٧ .
[٢] الطراز : ٣ / ١٥٥ .
[٣] جمالية الخبر والإنشاء : ١٠٧ .
[٤] ينظر : نحو الفعل (د. احمد عبد الستار الجواري) : ٥٦ وما بعدها ، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ١١٣ ، والبحث النحوي عند الأصوليين (مصطفى جمال الدين) : ١٥٤ .
[٥] جمالية الخبر والإنشاء : ١١١ – ١١٢ .

تقتضيه الدعوة من لين وتلطف ، لكسب المدعو [1] ، منه ما جاء في قول نوح (عليه السلام) لقومه :﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف ٥٩] [2] ، وقوله كذلك :﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء١٠٨] ، وقول لوط :﴿ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود ٨٧] ، فالداعي هنا يلتمس من المدعو هذا الأمر ؛ تلطفاً وتأدباً علّه يلقى الاستجابة .

وورد الأمر بمعنى (التهكم والسخرية) ، ويأتي هذا المعنى حينما تأخذ الخصومة شكلاً آخر يطغى عليه معاني التكبر والاستخفاف والجفاء ، والتهكم والسخرية وسيلة من وسائل المجابهة في مواقف الخصومة يستقبح فيه الخصم فعل خصمه ويتذمر منه ، فيلجأ إلى السخرية والاستهزاء به ، منه قول إبراهيم (عليه السلام) لقومه حينما سألوه :﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء ٦٢ – ٦٣] ، فالأمر في (فاسألوهم) ((للتعجيز والتهكم ، لأنه (عليه السلام) يعلم أن الأصنام لن تجيبَهم ، وأن القوم لن يسألوهم لعلمهم بذلك ... وضمير الجمع لإجرائهم مجرى العقلاء مجاراة لهم في زعمهم)) [3] ، وقيّد الأمر بجملة (إن كانوا ينطقون) ((ولم يقل يجيبون مراعاة للفظ (اسألوهم) لما في النطق من عموم يشمل الإجابة وغيرها ، فهو أنسب لبيان عجزهم التام عن النطق بالإجابة أو غيرها)) [4] ، ونتج عن هذا الأمر الساخر والمتهكم منهم ردع القوم وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر [5] ، فجاء قولهم ﴿ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنبياء ٦٤].

وباشتداد الصراع بين المتخاصمين يبرز معنى (التحدي والتعجيز) في دلالات الأمر ، والتحدي هو ((طلب شيء ما من المخاطب لا يقدر عليه ؛ لأنه ليس بوسعه

---

[1] ينظر : خطاب الأنبياء : ٢١٩ .
[2] ومثله قول هود (عليه السلام) في سورة (الأعراف ٦٥) وقول صالح (عليه السلام)في سورة (هود ٦١) .
[3] خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم (د. الشحات محمد أبوستيت) : ١٤٢ .
[4] المصدر نفسه : ١٤٢ .
[5] ينظر : في ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٨٧ .

تحقيقه)) [1] من ذلك تحدي إبراهيم (عليه السلام) النمرود في قوله تعالى :﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة ٢٥٨] ، فالتعجيز واضح من هذا الأمر ؛ لأن إبراهيم (عليه السلام) قد تيقن من استحالة مجيء النمرود بالشمس من المغرب ، فجاء بالأمر الصريح بالفعل (فأتِ) وذلك لتحديه وتعجيزه ؛ لأنه لن يستطيع أن يفعل ذلك [2] . والذي يبرز معنى التعجيز في هذا الأمر هو دهشة النمرود وإصابته بالذعر كما عبرت عن ذلك الآية في قوله تعالى :﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [البقرة ٢٥٨] .

ومنه تحدي قوم صالح له في قوله تعالى :﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف ٧٧] ، فقد أطلقوا هذا الأمر للسخرية والتعجيز [3] من مقدرته ومقدرة آلهته ، وهذا نوع من أنواع الحرب النفسية ضد صالح (عليه السلام) ، لإضعاف روحيته وروحية المؤمنين به [4].

ومنه تحدي فرعون موسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَاناً سُوًى ﴾ [طه ٥٨] ، فقد تحدى فرعون موسى ؛((ليبين أنه قوي القلب ، جلد متمكن من تهيئة وسائل المعارضة ، وترتيب أسباب المغالبة طال الأمد أو قصر)) [5] . فالتحدي وسيلة من وسائل الخصم لمواجهة نظرائه .

ويبرز معنى (التهديد) في الأمر عندما تتخذ صورة الأمر شحنة انفعالية متعاظمة في النفس [6] ، فتصلُ بها الخصومة إلى أوج شدتها ، من ذلك تهديد هود (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى :﴿ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف ٧١] ، فبعد أن أخبرهم أن عبادتهم الأوثان توجب غضب الله ، فرَّع عليهم بالتهديد بما يستعجلون من العذاب [7]

(١) جمالية الخبر والإنشاء : ١١٣ .
(٢) ينظر : خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم : ١٩٩ .
(٣) ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٣١٢ .
(٤) ينظر : الأمثل : ٥ / ٩٢ .
(٥) تفسير المراغي : ١٦ / ١٢٢ .
(٦) ينظر : جمالية الخبر والإنشاء : ١٠٧ .
(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١٨ / ٢١٣ .

، ((وكنّى عن ذلك بأمرهم بالانتظار وإخبارهم بأنه مثلهم في انتظار نزول العذاب فقال : ﴿ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾)) [1] .

ومن التهديد كذلك ما ورد في موقف صالح (عليه السلام) من قومه في قوله تعالى :﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود ٦٥] ، فقد جاء بالأمر (تمتعوا) تهديداً لهم أن التذاذهم في مدينتهم لا يزيد على ثلاثة أيام ، وقد بين الأمر بقوله تعالى :﴿ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [2] .

ومثله تهديد شعيب لقومه في قوله تعالى :﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [هود ٩٣] ، وهذا الأمر تهديد من شعيب (عليه السلام) لقومه بعد مكابرتهم وعنادهم له ، قال الطوسي (ت٤٦٠هـ) :((وهذا الخطاب وإن كان ظاهره ظاهر الأمر فالمراد به التهديد ، وتقديره كأنكم إنما أمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والعصيان وفي هذا نهاية الخزي والهوان)) [3] . وقد اقتصر الباحث في أسلوب الأمر على عرض صورة واحدة من صور الأمر وهي (صيغة الأمر الصريح) ، إذ لم ترد الصيغ الأخرى في سياق الخصومة .

وبهذا يكون لأسلوب الأمر مزّية واضحة في سياق الخصومة ، لكونه يؤدي معاني تصلح لأن تكون وسائلَ يرتكز عليها الخطاب بين المتخاصمين ، وهي تزيد من روح التحدي والاستفزاز ، وتضفي معاني التهديد والوعيد .

---

[1] الميزان : ٨ / ١٧٩ .
[2] ينظر : المصدر نفسه : ١٠ / ٣١٣ .
[3] التبيان في تفسير القرآن : ٦ / ٥٥ .

المبحث الخامس

الشرط

الشرط أسلوب من نحو أساليب الاستفهام والتوكيد والنفي والتعجب وغيرها [١] ، وهو ((أسلوب لغوي يبنى بالتحليل العقلي على جزئين*[كذا] لا يستقل أحدهما على الآخر ، الأوّل بمنزلة السبب والثاني بمنزلة المسبب ، ولا يتحقق الثاني إلاّ إذا تحقق الأوّل)) [٢] ، ومعنى الشرط ((وقوع الشيء لوقوع غيره)) [٣] ، وهو أسلوب يتألف من : أداة وجملتين ، تسمّى الجملة الأولى شرطاً وتسمى الجملة الثانية جواباً أو جزاءً ، والأداة وفعل الشرط وجوابه يكوّنان جملة الشرط [٤] .

والأداة قد تكون حرفاً نحو :(أين ومتى وأنّى وحيثما) أو أسماً نحو :(من وما وأي ومهما) أو حرفاً نحو :(إن وإذما) وحرف الشرط الأصلي (إن) وهذه كلها دواخل عليها [٥] .

وجملة الشرط والجزاء يرتبطان بأداة الشرط ارتباطاً وثيقاً ، لا يُتصوّر معه استقلال إحدى الجملتين عن الأخرى [٦] .

وقد تنوعت المعاني المصاحبة للشرط ، فمن التحدي والشك إلى التهديد والوعيد وغيرها من المعاني .

فقد يشترط الخصم متحدياً خصمَه ، من ذلك ما جاء في قول قوم نوح تحدياً له :﴿ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود ٣٢] ، فقد أدّى الشرط معنى التحدي والشك بالأداة (إنْ) وهو حرف جازم يستعمل في المعاني

---

[١] ينظر : التراكيب اللغويّة (هادي نهر) : ١٧٥ .
* [كذا] والأصح (جزأين)
[٢] الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني (د. رابح بو معزة) : ٢٠٥ .
[٣] المقتضب : ٢ / ٤٥ .
[٤] ينظر : شرح ابن عقيل (بهاء الدين بن عقيل) : ٢ / ٢٤٠ .
[٥] ينظر : المقتضب : ٢ / ٤٥ ، وشرح المفصل : ٥ / ٣٩ .
[٦] ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٨٥ .

المحتملة الوقوع والمشكوك حصولها [١] ، واختيار هذه الطريقة في التحدي وعدم الاكتراث :((إنما تحكي عن مدى اللجاجة والتعصب الأعمى)) [٢] لدى هؤلاء القوم . ومثله تحدي قوم هود له في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف ٧٠] ، وجاء الشرط بـ(إنْ) في كلام إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء ٦٣] ، دالاً على التعريض والتهكم [٣] ، وجيء بـ(إنْ) التي للشك ((من قبيل مجاراتهم في زعمهم حتى يفحمهم بالحجة ، حيث لم يجزم بعدم قدرتها على النطق ، ولم ينفِ ذلك عنها نفياً صريحاً ، وترك الأمر مشكوكاً فيه وهو على يقين من عدم نطقها ؛ كي يتوصلوا إلى ذلك بأنفسهم بعد مراجعتها فلا يدرون جواباً ويكبتون)) [٤] .

وقد يشترط الخصم للتشكيك كما جاء في خطاب فرعون لموسى بقوله له :﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف ١٠٦] ، فقد دل الشرط الثاني على التشكيك في مضمون الجملة الشرطية [٥] ، فقد أراد فرعون أن يشكك بصدق موسى بان يأتي بآية مبينّة كما وعد ، قال الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) :((الشرط في صدر الآية ... يتضمن صدقه (عليه السلام) فإنه إذا كان جائياً بآية واقعة فقد صدق في إخباره بأنه قد جاء بآية ، لكن الشرط في ذيل الآية تعريض يومئ به إلى أنه ما يعتقد بصدقه في إخباره بوجود آية معه ، فكأنه قال : إن كنت جئت بآية فأت بها وما أظنك تصدُق في قولك)) [٦] .

وقد يشترط الخصم بـ(إنْ) التي شأنها للشك – غالباً – إبعاداً للمشاكسة ودفعاً للمخاصمة ، كما هو واضح في قول صالح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ

---

[١] ينظر : شرح المفصل : ٥ / ١١٣ ، والإتقان : ٣١٩ ، ومعاني النحو : ٤ / ٥٩ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم (محمد عبد الخالق عظيمة) : (القسم الأول) ١ / ١٦٩.
[٢] الأمثل : ٦ / ٤٨٦ .
[٣] ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٠١ .
[٤] خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم : ١٤٢ .
[٥] ينظر : تفسير المنار : ٩ / ٤٤ .
[٦] الميزان : ٨ / ٢١٣ .

إن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود ٦٣] ، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) :(((إِنْ كنت على بينة من ربي) : بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة ؛ لأن خطابه للجاحدين ، فكأنه قال : قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة ، وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله)) [1] ، ومثله قول شعيب (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود ٨٨] ، فقد جاء الشرط بحرف الشك (إنْ) مراعاةً لحال المخاطبين ، قال أبو السعود (ت٩٨٢هـ) :((وإيراد حرف الشرط مع جزمه (عليه السلام) بكونه ما هو عليه من البيّنات والحجج ؛ لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم)) [2] .

ويُلحظ معنى (التكذيب والعناد) في شرط قوم فرعون عند مخاطبتهم موسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف ١٣٢] ، فقد أكدّوا بشرطهم هذا تكذيبهم لموسى ، وتعنيفهم إيّاه ، واستمرارهم في العناد والجحود والتمرّد [3] ؛ حتى لا يكون له بعد ذلك أملٌ في دعوتهم إلى الإيمان بالله .

ويبرز معنى (التحدّي والتهديد) في قول المكذبّين لرسلهم ، كما في خصومة قوم شعيب بقولهم له في قوله تعالى :﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود ٩١] ، فهذا الشرط ((يحمل تحدّيا ، وكأنهم ظنّوا أنّ بقدرتهم الفتك به ؛ لأنهم يبغضون حياته)) [4] ولكن رهطه هم السبب في عدم حصول ذلك .

---

(١) الكشاف : ٣ / ٢١٣ .
(٢) إرشاد العقل السليم : ٣ / ٨١ .
(٣) ينظر : تفسير الشعراوي : ٧ / ٤٣١٨ .
(٤) المصدر نفسه : ١١ / ٦٦٢٨ .

وورد معنى (التحذير والإنذار) في أسلوب الشرط كما جاء في كلام هود (عليه السلام) لقومه : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ [هود ٥٧] ، فيُلحظ معنى الإنذار والتحذير من التولّي [١] ، وتقدير الكلام ((فإن تتولّوا لم أُعاتَبْ على تفريطٍ في البلاغ)) [٢] .

فلأسلوب الشرط أهميّة لا تُنكر ؛ لاحتوائه على عنصر المفاجأة فضلا عن التنبيه ، وهذه من ضرورّيات الإقناع الذي هو بدوره ركن أساس ، يعتمد عليه الحوار في الخصومة .

---

[١] ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ١٠٢ .
[٢] الكشاف : ٣ / ٢٠٩ .

المبحث السادس

التوكيد

تأخذ الخصومة في أكثر الأحيان شكل المواجهات الخطابية ، وتكتنف هذه المواجهات إبراز الحجج وإطلاق الشبهات والتهم المتبادلة بين الخصوم ، فإذا ما أراد المتكلم أن يثبِت فكرة ما فإنه يعمد إلى التوكيد ؛ لعضد كلامه وإثبات فكرته التي ينوي طرحها .

والتوكيد من الأساليب التي تستعمل لإزالة ما علق في الكلام من شكوك عند المتلقي ، وإماطة ما خالجه من شبهات فيما فيه منفعة له ، أو لتثبيت عقوبة في نفسه وتنفيره مما فيه مضرة له [١] ، والتوكيد ((تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره ، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده)) [٢] ، ويعني هذا أن التوكيد يوجد في الكلام الذي يكثر فيه الشك والتردد ، وهذا واضح في مواقف الخصومة إذ إنها أرض خصبة لهذا الأسلوب ، إذ يكثر التردد وإطلاق الشكوك بين المتخاصمين ، وهذا ما تفرضه العداوة والبغضاء عند بعض الخصوم ، والتوكيد ((من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها)) [٣] .

وقد جاء استعمال التوكيد في القرآن الكريم لهذه الأغراض ، ((والعرب تؤكد كل شيء تراه في حاجة إلى التوكيد ، فهي قد تؤكد الحكم كله ، أو تؤكد جزءاً منه ، وقد تؤكد لفظة بعينها ، أو تؤكد مضمون الحكم ، أو مضمون اللفظة ، أو غير ذلك))[٤] .

وللتوكيد في نصوص الخصومة عدة طرائق :

١- التوكيد بـ(ان و اللام) .

٢- التوكيد بالقسم .

٣- التوكيد بـ(قد والسين وسوف) .

---

(١) ينظر : شرح الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي : ١ / ٢٦٢ .
(٢) الطراز : ٢ / ٩٤ ، وينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٣٤ .
(٣) من بلاغة القرآن : ١١٢ .
(٤) معاني النحو : ٤ / ١١٢ .

٤– التوكيد بالقصر .

أولاً / التوكيد بـ(إن واللام) .

(إنَّ) حرف مشبه بالفعل تؤكد النسبة في الجملة ، وتختص بالأسماء وعملها أنها تنصب المبتدأ وترفع الخبر [١] ، ووظيفتها ((تثبيت الشيء حين يكون المخاطب طالباً لذلك ، فإذا كان طلبه أشد بأنْ كان حاكماً بخلاف ما في نفس المتكلم قويت (إنَّ) بمؤكد آخر هو اللام وحدها أو اللام ولفظ القسم)) [٢] ، واللام تفيد توكيد مضمون الجملة ؛ ولهذا أخروها إلى الخبر كي لا يجمع بين حرفي التوكيد [٣] .

وقد كثر هذا النوع من التوكيد في سياق الخصومة ، منها ما جاء على لسان الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى مدينة أنطاكية [٤] ، في قوله تعالى :﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ [يس ١٤] ، فقد جاء في قول الرسل بعد تكذيب القرية لهم :﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [يس ١٦] ، وجاءت الزيادة في التوكيد بـ(إن واللام) بعد ما زاد الشك والإنكار [٥] ؛ لأن التأكيد يتفاوت بحسب قوة الإنكار وضعفه [٦] .

وجاء التوكيد بأن واللام في خصومات الأقوام لرسلهم ، كما في خصومة قوم نوح في قوله تعالى :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف ٧٠] ، وفي خصومة فرعون موسى كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف ١٠٩] ، وفي قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس ٧٦] ، وفي قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء ٢٧] [٧] ، وجاء تأكيد كلام فرعون في هذه الآية ليبين

---

[١] ينظر : الجنى الداني (الحسن المرادي) : ٣٩٣ ، والنحو الوافي (عباس حسن) : ١ / ٥٧١ ، ومغني الأديب (مجموعة مؤلفين) : ١ / ١٦٦ .
[٢] في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٣٧ .
[٣] ينظر : المقتضب : ٢ / ٣٦٠ ، والخصائص (ابن جني) : ١ / ٣١٤ ، والبلاغة والتطبيق (د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير) : ١١٠ .
[٤] ينظر : تفسير ابن كثير : ٦ / ٥٦٨ .
[٥] ينظر : من بلاغة القرآن : ١١٣ .
[٦] ينظر : الإتقان : ٥٤٩ .
[٧] وينظر : الشعراء : ٣٤ .

شعور فرعون في هذا الموقف ، فقد أكّد كلامه بحرفي التأكيد ؛ ((لأن حالة موسى لا تؤذن بجنونه فكان وصفه بالمجنون معرّضاً للشك فلذلك أكّد فرعون أنه مجنون ، يعني أنه علم من حال موسى ما عسى أن لا يعلمه السامعون ، وقصد بإطلاق وصف الرسول على موسى التهكمَ به بقرينة رميه بالجنون المحقق عنده ، وأضاف الرسول إلى المخاطبين رَبْئاً بنفسه عن أن يكون مقصوداً بالخطاب ، وأكّدّ التهكم والربء بوصفه بالموصول (الذي أرسل إليكم) فإن مضمون الموصول وصِلَته هو مضمون (رسولكم) فكان ذكره كالتأكيد ، وتنصيصاً على المقصود لزيادة تهييج السامعين كيلا يتأثروا أو يتأثر بعضهم بصدق موسى لأن فرعون يتهيأ لإعداد العدّة لمقاومة موسى لعلمه بأن له قوماً في مصر ربما يَستنصِرُ بهم)) [1] ، ومثله قول الملأ من قوم شعيب له في قوله تعالى :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف ٦٦] ، وفي قوله تعالى :﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود ٨٧] ، وقولهم له من باب التحدي والاستهزاء :﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً ﴾ [هود ٩١] ، فالذي يبدو أن التوكيدات بأن واللام في هذه المواقف غالباً ما تأتي لتوكيد إطلاق الشُّبَه ، ولتعزيز الإنكار وتكذيب الرسل ، فضلاً عن أنها تعبر صراحة عن اعتقاد الأقوام المكذبة فهم يؤكدون خصوماتهم واعتقاداتهم بهذه الأدوات .

ثانياً / التوكيد بالقسم :

القسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه [2] ، ويأتي لإظهار التأكيد والجد في القول [3] ، وهو أفضل المؤكدات في هذا السبيل [4] .

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩ / ١١٩ – ١٢٠ .
(٢) ينظر : مباحث في علوم القرآن (مناع القطان) : ٢٨٥ .
(٣) ينظر : القسم في القرآن الكريم (د. حسين نصار) : ١١٣ .
(٤) ينظر : التعبير الفني في القرآن الكريم (د. بكري شيخ أمين) : ٢٥٧ .

والقسم ((جملة فعلية أو أسميّة تؤكّدُ بها جملة موجبة أو منفية)) [1] وهو نوعان [2] :

١- الظاهر : وهو ما صُرّح فيه بفعل القسم وصُرح فيه بالمقسَم به ، أو ما حذف فيه فعل القسم إختصاراً واكتُفِيَ بأحد أحرف القسم من الباء أو الواو أو التاء [3] . وقد ورد في مواقف الخصومة القَسَم الذي حذف فيه فعل القسم وبقي حرفه ، منه ما جاء على لسان إبراهيم (عليه السلام) في تهديده بتحطيم الأصنام في قوله تعالى :﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ [الأنبياء ٥٧] ، فقد جاء هذا القسم مجتمعاً مع نون التوكيد الثقيلة في الفعل المضارع وفيه دلالة التعجب والتفخيم [4] .

وورد على لسان إبليس بتوعده بني آدم في قوله تعالى :﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص ٨٢] ، وقد أبان لنا هذان القسمان نفسيتي المقسِم ، فإبراهيم (عليه السلام) كانت نفسه تدفعه إلى الخير ، وهي تحكي لنا ما هاله من قومه لعبادتهم الأصنام التي لا تقدر على دفع الضر عن نفسها فضلاً عن معبودها ؛ لذلك أرادهم أن يتنبهوا أنها لا تنفع ولا تضر ، أما نفسية إبليس فكان دافعها شراً ، فقد أقسم الخبيث ((بعزة الله تحقيقاً لقيامه بالإغواء دون تخلف)) [5] ، وهذا يفصِح لنا عن منتهى خبثه وغاية مكره ، فقد علم أنه ليست له عزة فأقسم بعزة الله حتى يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وكان له ما أراد [6] .

٢- المضمَر : وهو ما لم يُصَّرح فيه بفعل القسم ولا بالمقسَم به ، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم [7] ، وهذا النوع من القسم الأكثر وروداً في سياق الخصومة ، منه ما جاء في خصومة إبليس في قوله تعالى :﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ

---

(١) المفصل : ٤٨٢ ، وينظر : شرح المفصل : ٥ / ٢٤٤ ، واللباب في علل البناء والإعراب (أبو البقاء العكبري) : ١ / ٣٧٤ .
(٢) ينظر : الفوائد المشوّق (ابن القيم الجوزية) : ١١٧ .
(٣) ينظر : التبيان في أيْمان القرآن (ابن القيم الجوزية) : ٧ ، ومباحث في علوم القرآن : ٢٨٧ .
(٤) ينظر : معاني النحو : ٤ / ١٣٩ .
(٥) التحرير والتنوير : ٢٣ / ٣٠٦ .
(٦) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف عن أم المؤمنين صفية بنت حيي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :((.... إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ....)) ، ينظر : صحيح البخاري (كتاب الاعتكاف) حديث رقم (٢٠٣٨) ، ٤١٨ ، وصحيح مسلم (كتاب السلام) حديث رقم (٢١٧٤) ، ٢ / ١٠٣٩ .
(٧) ينظر : مباحث في علوم القرآن : ٢٨٧ ــ ٢٨٨ .

جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف ١٨] ، فاللام في (لَمن) موطّئة للقسم [١] ، وهي للمبالغة وزيادة التوكيد [٢] .

ومنه توعد القوم الكافرين لرسلهم في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم ١٣] ، ومثله في خصومة قوم شعيب في قوله تعالى :﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف ٨٨] ، فقد جاء التأكيد باللام الموطئة للقسم ليتيقن المخاطَب أنهم منجزوا ذلك الوعيد [٣] ، وجاء القسم في سياق التهديد في عدّة مواضع ، منها تهديد آزر لإبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [مريم ٤٦] ، وتهديد فرعون للسحرة في قوله تعالى :﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾ [طه ٧١ والشعراء ٢٩] ، وفي تهديد فرعون لموسى :﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء ٢٩] ، وفي تهديد قوم نوح له :﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء ١٦٧] ، وعندما هدد الله – جل وعلا – إبليس بقوله :﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص ٥٨] ، وهكذا فإن التوكيد بالقسم يضفي على جو الخصومات نوعاً من التصلب ، فيزيد الأمر تعقيداً ربما لم يكن موجوداً قبل القسم .

ثالثاً / التوكيد بـ (قد والسين وسوف) :

قد : لفظ يشترك بين الاسمية والحرفية ، فالأوّل منه إما أن يكون بمعنى (حسب) وإما أن يكون بمعنى (كفى) [٤] ، والثاني – أي الحرف – هو الذي يدخل على الفعل وله معانٍ عديدة هي : التوقع والتحقيق والتقريب والتكثير وغيرها [٥] .

ولم تدخل قد إلاّ على الماضي في سياق الخصومة وهي بذلك تفيد التحقيق وهو بمعنى التوكيد ، وقد جاء التوكيد بهذا الحرف على لسان هود (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ قَدْ

---

[١] ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٣١ .
[٢] ينظر : بحر العلوم (للسمرقندي) : ١ / ٥٣٣ .
[٣] ينظر : التحرير والتنوير : ٩ / ٥ .
[٤] ينظر : الجنى الداني : ٢٥٣ ، وشرح التسهيل (جمال الدين الأندلسي) : ٤ / ١٠٦ .
[٥] ينظر : الجنى الداني : ٢٥٦ – ٢٥٩ ، ومغني اللبيب (ابن هشام الأنصاري) : ٢ / ٥٣١ – ٥٤٥ .

وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ [الأعراف ٧١] ، فالعذاب لم يقع بعد ، ولكنه استعمل صيغة الماضي في معنى الاستقبال وأكّده بقد ؛ إشعاراً بتحقيق وقوعه[١] .

وورد على لسان قوم نوح في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ [هود ٣٢] ، فقد جاء التوكيد بقد ؛ لتحقيق امتعاضهم من قوارع جدله ، فقد سئموا من تزييف معارضتهم وآرائهم [٢] .

أما (السين) فهي مختصة بالفعل المضارع ، وتخلصه للاستقبال ، وهي تفيد التوكيد والتثبيت [٣] ، ومدّة الاستقبال معها أضيق منها مع (سوف) [٤] التي سيأتي ذكرها ، وقد قل ذكر (السين) في مواقف الخصومة ، منها ما جاء على لسان موسى (عليه السلام) للسحرة في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ [يونس ٨١] ، فقد بين موسى (عليه السلام) أنّ الله مبطل هذا السحر ، وأشارت علامة الاستقبال (السين) إلى قرب إبطاله [٥] ، وهذا ما حصل حينما ألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما سحروا به أعين الناس .

أما سوف فهي كالسين ((حرف تنفيس يختص بالفعل المضارع ويخلصه للاستقبال)) [٦] لكنها عند البصريين أوسع زمناً من السين ، لأن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى [٧] . وذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) أنها تستعمل كثيراً في الوعيد والتهديد [٨] ، وجاء ذكرها في سياق التهديد على لسان شعيب (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ [هود ٩٣] ، ومثله في تهديد نوح لقومه :﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ [هود ٣٩] ، وفي تهديد

---

[١] ينظر : التحرير والتنوير : ٨ / ٢١٠ .
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٢ / ٦٠ .
[٣] ينظر : مغني اللبيب : ٢ / ٣٤١ ، والبرهان : ٤ / ٢٨٠ – ٢٨١ ، ومعترك الأقران : ٣ / ٢٢٣ .
[٤] ينظر : معترك الأقران : ٣ / ٢٢٣ ، وهذا رأي البصريين خلافاً للكوفيين ، ينظر : مغني اللبيب : ٢ / ٣٤١ – ٣٤٢ ، وهمع الهوامع : ٢ / ٤٩٣ .
[٥] ينظر : التحرير والتنوير : ١١ / ٢٥٦ .
[٦] الجنى الداني : ٤٥٨ ، وينظر : مجمع البيان : ٥ / ٢٧٠ .
[٧] ينظر : معترك الأقران : ٣ / ٢٢٤ .
[٨] ينظر : البرهان : ٤ / ٢٨٣ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم (القسم الأول) : ٢ / ١٩٩ .

فرعون للسحرة حينما آمنوا بموسى في قوله تعالى :﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الشعراء ٤٩] .

رابعاً / التوكيد بالقصر :

القصر ((إثبات الحكم المذكور ونفيه عمّا عداه)) [١] أو ((تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ، وذلك كتخصيص المبتدأ بالخبر بطريق النفي)) [٢] .

وأشهر صور القصر :(النفي والاستثناء وإنما) [٣]

القصر بالنفي والاستثناء :

إن من أهم القضايا التي ورد توكيدها بالنفي والاستثناء تهمة الأنبياء بالبشرية وأنهم لا يستحقون الرسالة لهذا السبب ، وقد تكرر هذا التوكيد على لسان المكذبين لرسلهم فقد قال قوم نوح لنبيهم :﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا ﴾ [هود ٢٧] ، وقولهم :﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [المؤمنون ٢٤] ، وقول قوم صالح لنبيهم :﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [الشعراء ١٥٤] ، وقول المكذبين لرسلهم في سورة يس في قوله تعالى :﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [يس ١٥] ، فقد جاء القصر في كل هذه الأقوال ليعكس اعتقاداً فاسداً عند قائليها ، وهو أن الرسول لا يكون إلاّ ملَكاً فإذا ما أدّعى النبوة أكدوا بشريته بالنفي والاستثناء ، فقد جاء هذا التأكيد لإثارة هذه الشبهة الجاهلة التي مصدرها ((عدم الثقة بهذا المخلوق الذي استخلفه الله في أرضه)) [٤] .

وجاء القصر بالنفي والاستثناء في كلام المكذّبين للرسل إنكاراً وجحوداً فقد قال الكافرون للنبي (ﷺ) :﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ [الفرقان ٤] ، وقالوا عنه كذلك :﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُوراً ﴾ [الفرقان ٨] ، فقد رمى الكفار النبي (ﷺ)

---

[١] الكليات : ٩٧٢ ، والإتقان : ٥٢٠ .
[٢] البلاغة والتطبيق : ١٦٩ ، وينظر : دلالات التراكيب (د . محمد أبو موسى) : ٣٣ ، وبلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني (د. توفيق الفيل) : ٢٢٠ .
[٣] ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٣٨ .
[٤] في ظلال القرآن : ٤ / ١٨٧١ .

في الآية الأولى بالكذب بعد أن أكدّوا ذلك بالقصر وهم يريدون ((رد دعوى أن هذا القرآن منزل من عند الله)) (1) ، وجاء التأكيد بالنفي والاستثناء في تكذيب قوم نوح في قوله تعالى :﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ [هود ٢٧] ، فقد حاولوا إثبات أنه غير جدير بالرسالة والدليل أن أتباعه من الأراذل المحقورين الذين لا مزيّة لهم على سادتهم ، فنفوا عنه سبب السيادة من جهتي ذاته وأتباعه (2) .

وقد تكرر القصر بالنفي والاستثناء في خطاب الأنبياء أقوامهم فقد جاء في قول هود لقومه :﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾ [هود ٥٠] ، فقد قصرهم على الافتراء ، إذ ليس المراد نفي كل أنواع الافتراء من الصفات وإنما المراد نفي مقابلها من الصفات كالصدق والحق والإنصاف (3) ، وقد أراد هود (عليه السلام) ليحصرهم في هذه الصفة دون غيرها لعنادهم وتجبرهم وشدّة خصومتهم له .

وقد تكرر هذا التوكيد في قصرهم الأجرَ على الله ، فجاء في قول نوح (عليه السلام) لقومه : ﴿ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ ﴾ [هود ٢٩] ، وفي قول هود (عليه السلام) : ﴿ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [هود ٥١] ، وقول صالح (عليه السلام) :﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٤٥] ، وقول لوط (عليه السلام) : ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٦٤] ، وقول شعيب :﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء ١٨٠] ، وقد أُمِر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يقول لقومه مثل ذلك في قوله تعالى :﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سبأ ٤٧] ، وسر القصر في هذه الآيات ؛ لمواجهة إنكار المخاصمين وتصحيح اعتقادهم (4) ، فضلاً عن أنه إشارة إلى نوع من الترغيب ؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى إذا كانت مطهرة عن دنس الطمع قوي تأثيرها في القلب (5) .

(1) التحرير والتنوير : ١٨ / ٣٢٢ .
(2) ينظر : المصدر نفسه : ١٢ / ٤٨ .
(3) ينظر : خطاب الأنبياء : ١٩٩ .
(4) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠٠ .
(5) ينظر : التفسير الكبير : ١٨ / ١١ .

القصر بـ(إنما) :

تتركب (إنما) من إنّ المتصلة بما الزائدة ، وقد نزلت مع ما منزلة الكلمة الواحدة ، و (ما) هي التي يسميها النحاة بالكافّة ، وهي تحجب (إن) وتكفها عن العمل [١] ، قال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) :((إن (ما) زادت (إن) تأكيداً على تأكيدها فصار فيها معنى الحصر وهو إثبات الحكم للشيء المذكور دون غيره)) [٢] .

وجاء القصر بـ(إنما) في سياق الخصومة على لسان الأقوام المكذبة لرسلهم من ذلك قول قوم صالح في مقام التكذيب في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء ١٥٣] ، ومثله قول قوم شعيب :﴿ إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء ١٨٥] ، أي أنت مسحور ؛ لذلك لا تنطق بقويم [٣] ، ولست مرسلاً – كما تزعم – من الله عز وجل ، ففي هذا القصر دلالة على تأكيدهم أن ما يصدر عنه ليس وحياً من الله بل هو من تأثير السحر عليه [٤] .

وورد التأكيد بالقصر على لسان الأنبياء تحدياً في مواجهة إنكار الأقوام واستعجالهم بالعذاب ، من ذلك قول نوح (عليه السلام) :﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [هود ٣٣] ، بعد أن قالوا له :﴿ فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود ٣٢] ، فكان القصر في رد نوح ((حملاً لكلامهم على ظاهره على طريقة مجاراة الخصم في المناظرة)) [٥] ، وقريب منه رد هود (عليه السلام) على قومه :﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ﴾ [الأحقاف ٢٣] ، والمقصود من هذا القصر شموله نفي العلم بوقت العذاب ؛ رداً على تحديهم وتعنتهم بطلب العذاب [٦] .

---

[١] ينظر : شرح ابن عقيل : ١ / ٣٤٢ ، وأوضح المسالك (ابن هشام الأنصاري) : ١ / ٣٤٧ ، وشرح شذور الذهب (شمس الدين الجوجري) ٢ / ٥٠٦ .
[٢] شرح المفصل : ٤ / ٥٢٢ .
[٣] ينظر : المحرر الوجيز : ٦ / ٥٠٠ .
[٤] ينظر : خطاب الأنبياء : ٢٠١ .
[٥] التحرير والتنوير : ١٢ / ٦١ .
[٦] ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ / ٤٧ – ٤٨ .

ومنه قول السحرة لفرعون تحدياً له بعد أن هددهم بالقتل :﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه ٧٢] ، ففي هذا القصر تأكيد بعدم مبالاتهم بتهديده [١] ، فهو مقصور على القضاء في الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة [٢] .

ويتضح فيما سبق أن لأسلوب التوكيد أثراً واضحاً في سياق الخصومة ، فقد كان أداةً فعّالة لإثارة الشكوك ، أو ردع المنكرين والمشككين ، مما يضفي على تلك المشاهد نوعاً من الجدية يجعل الخصومة أكثر شدة وأبرز حدّة .

---

[١] ينظر : روح المعاني : ١٦ / ٢٣٣ .
[٢] ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ٢٦٧ ، ومجمع البيان : ٧ / ٤٠ .

الفصل الثاني

(دلالة أحوال أجزاء الجملة والجمل في سياق الخصومة)

المبحث الأول : التقديم والتأخير

المبحث الثاني : التنكير والتعريف

المبحث الثالث : الحذف والذكر

المبحث الرابع : الجملة الاعتراضية

المبحث الخامس : الفصل والوصل

الفصل الثاني

دلالة أحوال أجزاء الجملة والجمل في سياق الخصومة

إن الجملة العربية لابد لها من ركنين أساسيين تنعقد بهما وهما : المسند إليه والمسند ، وما سواهما في الجملة من التوابع والمفاعيل تسمى مكملات الجملة ، تجيء لتؤدي وظائف نحوية معيّنة وتؤثر في المعنى ، بيد أن هناك عدة أحوال تعتري أجزاء الجملة أو الجمل وتؤثر في المعنى بما يطابق إرادة المتكلم لمقتضى الحال ، وهذه الأحوال سيتناولها هذا الفصل لما لها من أثر واضح في سياق الخصومة وهي :

* التقديم والتأخير .
* التنكير والتعريف .
* الحذف والذكر .
* الجملة الاعتراضية .
* الفصل والوصل .

المبحث الأول

التقديم والتأخير

يتألف الكلام العربي من رتب بعضها أسبق من بعض ، إذ إن بعض المراتب تكون سابقة لغيرها ، فالمبتدأ يسبق الخبر ، والمفعول الأوّل أسبق من المفعول الثاني ، والعمدة أسبق من الفضلة وهكذا [١] ، فإن وضعنا الكلمة مكانها فقد جرينا على الأصل ، وإن وضعناها في غير مرتبتها دخلنا في باب التقديم والتأخير [٢] .

وللتقديم والتأخير فوائد كثيرة ومعان مختلفة تظهر من خلال السياق ، وقد تنبه السابقون إلى أهمية هذا الأسلوب عند العرب ، قال سيبويه :((كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم)) [٣] .

كما تنبه الجرجاني (ت٤٧١هـ وقيل ٧٧٤هـ) لأهمية التقديم والتأخير فقدم له قائلاً:((هو باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، ولا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولَطَفَ عندك أن قدم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان)) [٤] ، لذا استعمل العرب هذا الأسلوب للدلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام [٥] .

ولظاهرة التقديم والتأخير :((إدراك خلاّق يُكثّف المستوى الجمالي للتعبير بخلقه بنية تتداخل فيها العلاقات عن طريق المسلك الأسلوبي للكلمات في التراكيب)) [٦] .

---

[١] ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها د. فاضل السامرائي : ٣٧ ، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى (د. حامد كاظم عباس) : ٢٥٧ ، وإعجاز القرآن البياني (د. صلاح الخالدي) : ٢٦١ ، وصفاء الكلمة (د. عبد الفتاح لاشين) : ١٩٤ ، وابن القيم وحسه البلاغي (د. عبد الفتاح لاشين) : ٩٨ .

[٢] ينظر : الجملة العربية تأليفها وأقسامها : ٣٨ ، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : ٢٥٧ .

[٣] الكتاب : ١ / ٣٤ .

[٤] دلائل الإعجاز (عبد القاهر الجرجاني) : ١٠٦ .

[٥] ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٢٣٣ .

[٦] الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآنية (أطروحة دكتوراه مخطوطة) د. عواطف كنوش : ١٦٠ .

والتقديم والتأخير عبارة عن تبادل في المواقع يؤدي غرضاً بلاغياً ما كان ليؤديه من غير هذا التبادل ، فتحولات الصياغة تبرز أثراً مهماً في تغيير المعنى ، واكتسابه دلالات متغيّرة وإيحاءات جديدة [١] .

ومن خصائص اللغة العربية أنها تتيح للمتكلم حرية التقديم والتأخير بين أجزاء الجملة تبعاً لأغراض يقصدها ، لكن هذه الحرية غير مطلقة فقد حددها ابن السرّاج (ت٣١٦هـ) في ثلاثة عشر موضعاً لا يجوز تقديمها وتأخيرها [٢] .

وقد بلغ استعمال القرآن الكريم للتقديم والتأخير ذروته في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير ، إذ تستقر في مكانها المناسب ، فنجده يقدّم الألفاظ ويؤخرها حسبما يقتضيه المقام ؛ لتحقيق الأهداف والغايات التي يريدها [٣] .

وللتقديم والتأخير حضور متميز في سياق الخصومة ، إذ وردت في أنماط مختلفة لكل منها أهمية وعمق في هذا السياق ، من ذلك تقديم الجار والمجرور كما في خصومات الأقوام أنبيائهم ، منه قوله تعالى :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ [هود ٥٠] [٤] ، فقد تكررت هذه الدعوة على لسان الرسل ؛ لتأكيد نفي الشركاء من خلال تقديم المسند (الجار والمجرور) على المسند إليه ؛ لمواجهة الخصومة والإنكار من الأقوام لحقيقة التوحيد .

ومنه ما جاء في خصومة قوم صالح له في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا ﴾ [هود ٦٢] ، وتقديم الجار والمجرور (فينا) يُشعر بمكانته بينهم وأنه كان مقدماً عندهم لما يتصف به من العقل ، فهم يهددونه سلب مكانته بهذا التقديم[٥] .

---

[١] ينظر : أسرار التشابه الأسلوبي (د. شلتاغ عبود) : ٨٤ .
[٢] ينظر : الأصول في النحو : ٢ / ٢٢٢ وما بعدها .
[٣] ينظر : التعبير القرآني (د. فاضل السامرائي) : ٥٣ .
[٤] وينظر : سور هود (٦١ ، ٨٤) ، والمؤمنون (٢٣ ، ٣٢) .
[٥] ينظر : خطاب الأنبياء : ١٧٥ .

وورد تقديم الجار والمجرور في خصومة قوم إبراهيم له في قوله تعالى :﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات ٩٧] ، فتقديم الجار والمجرور (له) مشعر بالتخصيص ، أي أبنوا له بنياناً خاصاً به ليعذب فيه ، وفي هذا التخصيص إشارة إلى شدة كيدهم واستعدادهم لفعل كل شاق في سبيل الانتقام منه [١] .

ومما ورد في مقامات الخصومة (تقديم الخبر) فقد جاء على لسان آزر مخاصماً إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [مريم ٤٦] ، فقد قدّم الخبر ؛ لأنه أهم عنده وهو المعني بالقول [٢] ، فصياغة النظم في هذه الآية تدل على أن أبا إبراهيم ينكر على إبراهيم تمكن الرغبة عن آلهتهم منه نفسه ، ويهتم بأمر الرغبة عن الآلهة ؛ لأنها موضع عجب [٣] ، فتركُ عبادة الأوثان هو ما يهم أبا إبراهيم ؛ لذا خصه بالتقديم [٤] .

وورد تقديم الخبر على المبتدأ في قول موسى لقومه :﴿ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ [يونس ٧٧] ، فتقديم الخبر (سحر) على المبتدأ (هذا) ؛ ((للإيذان بأنه مصب الإنكار حيث أنكر عليهم إدعائهم أن معجزات الله سحر))[٥] .

وورد تقديم جواب الشرط على فعله في سياق الخصومة ، كما جاء في قصة شعيب (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا ﴾ [الأعراف ٨٩] ، فقد تقدم جواب الشرط (قد افترينا على الله كذباً) على فعل الشرط (إن عدنا في ملتكم) ؛ لاستبعاد المؤمنين رجوعهم إلى ملّة الكفر عندما بدؤوهم بهذا الجواب ؛ لإظهار عظم الجرم المترتب على الفعل الذي يريدونه منهم [٦] .

---

[١] ينظر : خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم : ٩٦ – ٩٧ .
[٢] ينظر : الكشاف : ٤ / ٢٥ .
[٣] ينظر : التحرير والتنوير : ١٦ / ١١٩ .
[٤] ينظر : الكشاف : ٤ / ٢٥ ، ودلالات التقديم والتأخير : ٤٨٠ .
[٥] دلالات التقديم والتأخير : ٤٢٠ .
[٦] ينظر : المصدر نفسه : ٣٧٠ .

وقد جاء تقديم (جواب الشرط) للترغيب في قول شعيب (عليه السلام) لقومه :﴿ بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود ٨٦] ، فقد قدم جواب الشرط (بقيّت الله) على فعل الشرط (إن كنتم مؤمنين) ؛ لأنه أراد أن يرغبهم بما عند الله سبحانه عمّا عندهم .

وورد تقديم المفعول في سياق خصومة قوم إبراهيم (عليه السلام) ، فقد جاء على لسان إبراهيم:﴿أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [الصافات ٨٦] ، فقد قدم المفعول (آلهة) للاختصاص والعناية [1] ، ولو لم يقدّم المفعول لكان يحتمل أنه (عليه السلام) أنكر عليهم عبادة الأصنام فقط وليعبدوا ما يشاءون غيرها .

ومما سبق ذكره يتضح أنّ لأسلوب التقديم والتأخير أهمية بالغة في سياق الخصومة ؛لأنه يأتي لفوائد معنوية كثيرة ، كالاهتمام والاختصاص والعناية ، ولإفحام الخصم ، وكل هذه الأغراض مهمة في جدال المخاصمين في محاولة إقناعهم ، من خلال تأكيد الأهم فالمهم .

[1] ينظر : الكشاف : ٥ / ٢١٦ ، وأنوار التنزيل : ٥ / ١٣ .

المبحث الثاني

التنكير والتعريف

إن التنكير والتعريف من الظواهر التي تتعلق بأحوال أجزاء الجملة ، وهي مختصة بالاسم دون غيره ، وما يفيده الاسم في حال التعريف لا يفيده في حال التنكير تبعاً للمتكلم والمخاطب والمقام والموضوع [١] ، وقد وظف القرآن الكريم هذه الخصّيصة بالوجه اللائق ، الذي يدل على معنى يغني السياق الذي يرد فيه .

والنكرة والمعرفة ((هما في الأصل اسما مصدرين لنكّر وعرّف ثم جعلا اسمي جنس للاسم المنكر والاسم المعرّف لا علمين)) [٢] ، فالمعرفة ((ما دلّت على شيء بعينه ، والنكرة ما دلت على شيء لا بعنيه)) [٣] .

والفرق بين النكرة والمعرفة أن النكرة يفهم منها ذات معين فقط ، ولا يفهم منها كونه معلوماً للسامع ؛ وذلك لأن النكرة بمفردها تدل على الإطلاق ، أما المعرفة فيفهم منها ذات معين ، ويفهم منها كونه معلوماً للسامع لدلالة اللفظ على التعيين [٤] .

والنكرة هي الاسم ((الواقع على كل شيء من أمتّه ، لا يخص واحداً من الجنس دون سائره)) [٥] ، أما المعرفة فهو ((ما وضع شيء بعينه)) [٦] .

[التنكير]

يحمل التنكير معاني ودلالات يمكن عن طريقها إضفاء الرونق والبهاء على النص [٧] ((فالتنكير رمز وإشارة إلى الإبهام والإجمال ، تسلكه مرة لتحقّر شأن ما أبهمته ، ولأنه

---

[١] ينظر : في جمالية الكلمة (د. حسين جمعة) : ١١٥ .
[٢] حاشية الصبان (علي بن محمد الصبان) : ١ / ١٧٩ .
[٣] الطراز : ٢ / ٨ .
[٤] ينظر : سورة الإسراء دراسة بلاغية دلالية (رسالة ماجستير) فاضل ضايف سلطان : ٩٠ ، والتعريف والتنكير في النحو العربي (د. أحمد عفيفي) : ١٩ .
[٥] المقتضب : ٤ / ٢٧٦ .
[٦] شرح الرضي لكافية ابن الحاجب (تحقيق د. حسن الحفظي) : ١ / ٤٩١ .
[٧] علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوب المحدثين (د. طالب إسماعيل الزوبعي) : ١٤٣ .

عند الناطق به أهون من أن يخصّه ، ومرّةً لتعظيم شأنه ، وقد يخرج إلى دلالات بلاغية أخرى)) [١] .

وغالباً ما تتصف مواقف الخصومة بالشدة أو السخرية ؛ لذلك توافرت في نصوصها الألفاظ المنكرة الدالّة على السخرية والاستهزاء أو الترهيب والتهديد ، من ذلك تنكير لفظة (كَرَّة) الواردة في خصومة الأتباع والمتبوعين يوم القيامة بعد رؤيتهم العذاب في قوله تعالى :﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا ﴾ [البقرة ١٦٧] ، فقد تبدّت معاني الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين [٢] ، وجاءت كلمة (كرّة) التي تعني ((الرجعة إلى محل كان فيه الراجع ، وهي مرّة من الكر)) [٣] ، و التنكير فيها أفصحَ عن شدة الخصومة والغيظ الذي يحمله هؤلاء المتخاصمون ، حتى تمنوا لو رجعة يعودون بها إلى الأرض فيتبرؤوا من تبعيتهم لتلك القيادات الضعيفة [٤] .

وجاء التنكير في خصومة قوم عاد لنبيهم في قوله تعالى :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف ٦٦] ، فقد اتهموه بالسفه ، وجاءت الكلمة المنكّرة (سفاهة) للدلالة على قصدهم بعظم سفاهته – برّأه الله مما قالوا – أي ((إنا لنراك في سفاهة غريبة أو تامّة راسخة تحيط بك من كل جانب)) [٥] .

ومن الدلالات الحاصلة في التنكير ما جاء في خصومة الشيطان بقوله لمن أغواهم يوم القيامة :﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ [إبراهيم ٢٢] ، فقد جاءت لفظة (سلطان) ؛ للمبالغة في نفي السلطان عن نفسه [٦] وهذا التنكير يشعر بزيادة الحنق بين الشيطان وضحاياه ، إذ أخبرهم بالحقيقة ، بأنْ لا سلطان له عليهم إلاّ

---

[١] علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوب المحدثين : ١٤٣ – ١٤٤ ، وينظر : الإتقان : ٤٠٥ ، وخصائص التراكيب (د. محمد محمد أبو موسى) : ٢١٢ – ٢١٩ ، ومعاني النحو : ١ / ٣٧ – ٣٨ ، وبلاغة التراكيب : ١١٠ – ١١٤ .

[٢] ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ١٥٤ .

[٣] التحرير والتنوير : ٢ / ٩٩ .

[٤] ينظر : في ظلال القرآن : ١ / ١٥٤ .

[٥] تفسير المنار : ٨ / ٤٩٨ .

[٦] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣ / ٢٥٤ .

أنْ دعاهم فاستجابوا له ، وهذا مما يزيد الأتباع حقداً وضغينة عليه ، وهم الذين أطاعوه ، واتبعوا خطواته ، واستجابوا له .

ويأتي التنكير في سياق الخصومة للتهديد ، من ذلك ما جاء في رد القرآن الكريم على خصومة قريش في قوله تعالى :﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت ١٣] ، فقد جاء التنكير في (صاعقة) للتهديد ؛ لأنها في مقام التخويف والإنذار ، فقد فُسّرِت الصاعقة بعذاب شديد الوقع كأنه صاعقة [١] .

ومما ورد تنكيره لإفادة التقليل قول الضعفاء للذين استكبروا يوم القيامة :﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ ﴾ [غافر ٤٧] ، فجاء تنكير (نصيباً) للدلالة على التقليل فهي تعني ((نصيباً أيّ نصيب وإن قل)) [٢] أي ((جزءاً من حرّ النّار غير محدد المقدار من قوّتها)) [٣] .

وجاء معنى التقليل في قول هود (عليه السلام) لقومه :﴿ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً ﴾ [هود ٥٧] فقد نكَّر (شيئاً) للتقليل ، أي فلا تضرونه ((أقل الضرر ؛ فإن المعروف في المقارعات والخصومات أن الغالب المُضِر بعدوّه لا يخلو من أن يلحقه بعض الضرر من جراء المقارعة والمحاربة)) [٤] ، لكن التنكير نفى كونهم قادرين على ضره ولو بالشيء اليسير.

وورد التنكير للتحقير في قول إبراهيم (عليه السلام) لأبيه :﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام ٧٤] ، فقد نكر (أصناماً) ((ليدل على هوان أمرها وحقارته ، من جهة أنها مصنوعة لهم مخلوقة بأيديهم)) [٥] .

---

[١] ينظر : الكشاف : ٥ / ٣٧٣ ، وإرشاد العقل السليم : ٥ / ٣٨ .
[٢] ال حم دراسة في أسرار البيان : ١٧٧ .
[٣] التحرير والتنوير : ٢٤ / ١٦٢ .
[٤] المصدر نفسه : ١٢ / ١٠٣ .
[٥] الميزان : ٧ / ١٦٨ – ١٦٩ .

[التعريف]

المعرفة ((هو ما وضع شيء بعينة)) [١] ، أي دلالة الكلمة على شيء معين ، والتعريف سمة لغوية تنوعت دلالاتها بتنوع الوسائل التي يتم التعريف عن طريقها وهي : المضمر ، والعلم ، والإشارة ، والمعرف بـ(أل) ، والاسم الموصول ، والمضاف إلى معرفة [٢] ، وقد وظف القرآن الكريم هذه الظاهرة في مواقف الخصومة ، لما فيها من أسرار ولطائف تعطي السياق دلالة إضافية .

فقد ورد التعريف بالإضافة في قول صالح (عليه السلام) لقومه :﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ ﴾ [الأعراف ٧٣] ، فقد أضاف (ناقة) إلى اسم الجلالة ، والإضافة هنا للتشريف كإضافة (بيت) إلى (الله) في (بيت الله) [٣] ، وفي هذا التشريف نلمس التحذير من التعرُّض لها ؛ لأنها ناقة الله ، والإضافة الأخرى في (أرض الله) إذ أضاف (الأرض) إلى اسم الجلالة ، وعند النظر إلى الإضافتين معاً يَشعر الرائي بأن صالح (عليه السلام) أراد أن يقول لقومه : بأنه لا فضل لكم على هذه الناقة وليس هناك داعٍ بأن تمسوها بسوء ، فهي ناقة الله في أرض الله فلها الحق في ((الأكل من نبات الأرض لأن الأرض لله وتلك الناقة من مخلوقاته)) [٤] .

ويظهر معنى التحذير في الإضافة في قول شعيب (عليه السلام) لقومه :﴿ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [هود ٨٤] ، فقد أضاف العذاب إلى (يوم) الموصوف بالإحاطة ، من حيث لا يشذ عنه أحد منهم ، ولا يجدون منه ملجأً ولا مهرباً [٥] ، وفي هذه الإضافة ((تحذير من عواقب كفران النعمة وعصيان واهبها)) [٦] .

---

[١] شرح الرضي لكافية ابن الحاجب : ١ / ٤٩١ .
[٢] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٤١ – ٤٩ ، والإتقان : ٤٠٦ – ٤٠٧ .
[٣] ينظر : المحرر الوجيز : ٣ / ٦٠١ ، والتحرير والتنوير : ٨ / ٢١٨ ، وفي جمالية الكلمة : ١٣٨ .
[٤] التحرير والتنوير : ٨ / ٢١٨ .
[٥] ينظر : فتح القدير : ٢ / ٥١٨ .
[٦] التحرير والتنوير : ١٢ / ١٣٧ .

ويبرز معنى التهديد في الإضافة ، كما في خصومة نصارى نجران النبي (ﷺ) في قضية عيسى (عليه السلام) ، فكان الرد في قوله تعالى :﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران ٦١] ، فقد أضاف اللعنة إلى الله عز وجل ؛ للتهويل والتهديد ، فالمخاصِم يَشعر أن الأمر الذي أقبل عليه عاقبته اللعن الذي مصدره من الله المتصرف في كل شيء ، وهذه مبالغة في التهديد .

ويتضح معنى السخرية والاستهزاء في دلالة الإضافة في قول إبراهيم (عليه السلام) لقومه: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء ٦٣] ، وكان هذا الجواب رداً على سؤال قومه :﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء ٦٢] ، فالإضافة الحاصلة في (كبيرهم) دلت على السخرية والاستهزاء من الخصم وما يعبدون ، فقصْدُ إبراهيم (عليه السلام) الإيماء إلى ضعف الصنم الكبير الذي لم يكسره ، فأراد أن يسفه عقولهم ويبرهن لهم الحجة على بطلان عقيدتهم [١] .

ومما ورد في مواقف الخصومة التعريف بالضمير وهو على ثلاثة أنواع : تكلم وخطاب وغيبة [٢] . ففي مقام التكلم ما جاء في خصومة إبليس برده على الله سبحانه:﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف ١٢] [٣] ، فقد دلّ الضمير (أنا) في جواب إبليس على الافتخار والتكبر ، فقد أثبت لنفسه استقلال الآنيّة قبل الآنيّة الآلهيّة ، فاستدعاه ذلك إلى نسيان كبرياء الله ، فوجد نفسه مثل ربه وإن له استقلالاً كاستقلاله [٤] .

وفي مقام الخطاب ما جاء في خصومة الضعفاء والمستكبرين يوم القيامة في قوله تعالى :﴿ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ ٣١] ،

---

[١] ينظر : سورة الأنبياء دراسة دلالية رسالة ماجستير (إياد عبد العزيز) : ٨٠ .
[٢] ينظر : الإتقان : ٤٠٦ ، وعلم المعاني دراسة وتحليل (د. كريمة محمود أبو زيد) : ٧٢ .
[٣] وينظر : سورة ص : ٧٦ .
[٤] ينظر : الميزان : ٨ / ٢٦ .

فقد دل الضمير (أنتم) على التعيين ، ودل هذا التعيين على أن المستكبرين هم السبب الوحيد في إغواء الضعفاء ((أي انتم أغويتمونا وأمرتمونا بالكفر)) [١] .

وجاء التعريف بالضمير في مقام الغيبة ، في الخصومة الحاصلة بين المشركين وأعضائهم يوم القيامة بعد العتاب الحاصل بينهم :﴿ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ ﴾ [فصلت ٢١] ، فقد جاء التعريف بضمير الغيبة (هو) بعد أن ذُكر اسم الجلالة صراحةً ، وفي ذلك تشهيرٌ للمشركين بخطئهم في إنكارهم البعث والمصير إلى الله ؛ لزيادة التنديم والتحسير [٢] .

وفي الآية نفسها نرى التعريف بالعلمّية في جواب الأعضاء :﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت ٢١] ، فقد ذكر اسم الجلالة (الله) بعد سؤال تعجب من المشركين (لم شهدتم علينا ؟) وفي التصريح بالعلمّية إبطالٌ لهذا التعجب ، فليس بعجب أن ينطقنا الله سبحانه القادر على إنطاق كل شيء [٣] ، وفي هذا زيادة تبكيت لهؤلاء المشركين في ذلك الموقف .

وورد التعريف باسم الإشارة في مواقف الخصومة ، من ذلك ما جاء في خصومة الكافرين النبي (ﷺ) وقولهم عنه :﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾ [الفرقان ٤١]، فقد دلّ اسم الإشارة على الاستحقار والاستهزاء [٤] ، أي أنه ((غير مناسب ولا لائق أن يبعث الله هذا الرجل)) [٥] .

وقد جاء تكرار اسم الإشارة (هذا) في خصومة قريش بقولهم عن اليوم الآخر :﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون ٨٣] ، فقد أشاروا إلى البعث في المرّة الأولى مفيدين أن القول بالبعث قد كان شائعاً عند آبائهم من

---

[١] المحرر الوجيز : ٧ / ١٨٨ ، والبحر المحيط : ٧ / ٢٧٠ .
[٢] التحرير والتنوير : ٢٤ / ٢٦٨ .
[٣] ينظر : روح المعاني : ٢٤ / ١١٦ ، وأنوار التنزيل : ٥ / ٦٩ .
[٤] ينظر : أنوار التنزيل : ٤ / ١٢٥ ، وفتح القدير : ٤ / ٧٧ ، وتيسير الكريم الرحمن (عبد الرحمن السعدي) : ٥٨٣ ، وعلم المعاني دراسة وتحليل : ٨٠ .
[٥] تيسير الكريم الرحمن : ٥٨٣ .

قبل ، وهم مع ذلك يرفضونه كما رفضه آباؤهم ، وجاءت الإشارة الثانية إلى البعث لتميزه وتبرزه في صورة محسوسة ، ليتقرر الحكم عليه – في زعمهم – أنه أساطير الأوّلين وكأن هذا الحكم جاء نتيجة بحث ونظر [١] ، وهذا يدل على شدّة خصومتهم ولجاجتهم .

ومما جاء في التعريف باسم الإشارة ، قول صالح (عليه السلام) لقومه حينما عقروا الناقة : ﴿ فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود ٦٥] ، ففي التعريف بالإشارة تفخيمٌ لهذا الوعد [٢] ، إذ لم يبق لهم سوى ثلاثة أيّام ثم يحل العذاب ، ومن ثَم فهو وعد عالي الرتبة بالصدق [٣] .

أما التعريف بالموصول فقد ورد في مواضع عديدة ، منها ما جاء في قول شعيب (عليه السلام) لقومه :﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ﴾ [هود ٨٩] ، فقد جاء الموصول (ما) للتهويل والتخويف ، فقد ذكّرهم بصنوف العذاب الذي حلّ بمن قبلهم أن يحلّ بهم .

وجاء التعريف بما الموصولية في خطاب إبراهيم (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى :﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [الأنبياء ٦٦] ، فقد عبّر عن آلهتهم بـ(ما) التي لغير العاقل ؛ تحقيراً لها ، وتذكيراً لهم بحقيقتها ، وتجهيلاً لهم على حمقهم وسفاهتهم ، وإيثار المضارع (ينفعكم ويضركم) للتجدد أي أنها تشمل جميع الأزمان والآماد ؛ لبيان بوار عبادتهم [٤] .

---

[١] ينظر : خصائص التراكيب : ٢٠٥ .
[٢] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣ / ٦٥ .
[٣] ينظر : نظم الدرر : ٩ / ٣٢٣ .
[٤] ينظر : التفسير البلاغي للاستفهام : ٢ / ٣٨٢ .

وكان للتعريف بـ(ال) [1] حضور في سياق الخصومة ، فقد جيءَ بـ(أل) العهدية – وهي للعهد الذكري – في سياق خصومة قريش في قوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [المؤمنون ٧٠] ، فالتعريف في (للحق) للعهد الذكري حيث تقدم لمصحوبها ذكر في اللفظ في قوله (بل جاءهم بالحق) .

وجاء التعريف بال العهدية للعهد الحضوري في قول فرعون لسحرته تنبيها لهم على مواجهتهم موسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ [طه ٦٤] فمصحوب ال العهدية حاضر محسوس ، وهو ذلك اليوم الذي توعد فرعون به موسى .

ومثله تعريف الوعد في استفهام الرافضين لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأنبياء ٣٨] [2] ، فالتعريف في (الوعد) للعهد الحضوري ؛ ((لأن الوعد الذي يعنونه في إشارتهم إليه وكأنّه مشاهد محسوس ، هو يوم القيامة)) [3] .

وورد التعريف بال للعهد الذهني في سياق خصومة المشركين في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء ٤٥] ، فاللام في (الصم) للعهد الذهني ، فمعلوم للمخاطَب أن الصّم لا يسمع الدعاء ، لكنه جاء بهذا المثال ؛ للدلالة على تصامّهم وسدّهم أسماعهم عند الإنذار [4] .

---

[1] أل التعريف نوعان :
أولاً : أل العهدية وهي على ثلاثة أنواع :-
أ- العهد الذكري : إذا تقدم لمصحوبها ذكر في اللفظ .
ب- العهد الحضوري : إذا كان مصحوبها حاضراً .
ج – العهد الذهني : إذا تقدم لمصحوبها علم المخاطب به . ينظر : الإتقان : ٤٠٧ ، ومعاني النحو : ١ / ١٠٥ – ١٠٦ وغيرها .
ثانياً : أل الجنسية وهي على ثلاثة أنواع :
أ- الدلالة على الاستغراق : عندما تخلفها (كل) .
ب- الدلالة على تعريف الحقيقة : عندما لا تخلفها كل لا حقيقة ولا مجازاً .
ج- تخصيص المسند إليه بالمسند المعرّف وبالعكس . ينظر : الإتقان : ٤٠٧ ، ومعاني النحو : ١ / ١٠٦ – ١٠٧ ، وجواهر البلاغة (احمد الهاشمي) : ١٠٩ – ١١٠ ، ومغني اللبيب : ١ / ٣١٩ – ٣٢٠ .

[2] وينظر : سور (النمل : ٧١ ، وسبأ : ٢٩ ، ويس : ٤٨ ، والملك : ٢٥) .

[3] سورة الأنبياء دراسة دلالية : ٧٦ .

[4] ينظر : الكشاف : ٤ / ١٤٧ – ١٤٨ .

وجاء التعريف بأل الجنسية في خصومة قوم إبراهيم (عليه السلام) ومحاجّتهم له في قوله تعالى :﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام ٨١] ، فالتعريف في (الأمن) للجنس [١] ، وقد ورد هذا التعريف في سياق الإنكار والتعجيب ، فقد استنكر إبراهيم (عليه السلام) على قومه عجبهم له بأنه لا يخاف آلهتهم ، فقد عرف الله وخصه بالعبادة ، بالعكس منهم فقد أشركوا معه الأصنام [٢] .

وجاء التعريف بأل الجنسية (لاستغراق الجنس) في قول الكفار يوم القيامة في قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت ٢٩] ، فالتعريف في (اللذَين) لاستغراق الجنس ((أي أرنا كل مغوٍ ومضلٍ من الجن والإنس)) [٣] ، وفي هذا التعريف دلالة على شدة الحنق والغيظ الذي دعاهم إلى المطالبة برؤية كل مضل لسحقه واهانتته .

---

[١] ينظر : التحرير والتنوير : ٧ / ٣٣١ .
[٢] ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٢٧٦ .
[٣] المحرر الوجيز : ٧ / ٤٨٠ .

المبحث الثالث

الحذف والذكر

إن الحذف من المزايا التي امتازت بها العربية ؛ لأن من طبيعة الكلام العربي الميل إلى الإيجاز وتقليل الكلام ، وهو يعتري ((الجملة والمفردة والحرف والحركة)) [١] ، ويرى النحاة ان الأصل في الكلام الذكر ، ولا يحذف منه شيء إلاّ بدليل [٢] ، سواء دل على هذا الدليل قرينة لفظية أم دلّت عليه قرينة المقام [٣] .

والحذف هو ((إسقاط جزء من الكلام)) [٤] ، وإسقاط هذا الجزء كما هو معلوم يكون بدليل .

وقد تنبه العلماء قديماً لهذه الظاهرة ، فقد أشار إليه سيبويه في كتابه ، مبيناً أنواعه وكاشفاً عن أسبابه ، مؤكداً ان ذلك من سمة العرب الفصحاء في أساليبهم[٥] ، وقد عدّه ابن جني (ت٣٩٢ هـ) باباً قيماً من أبواب شجاعة العربية [٦] ، وقد وصفه عبد القاهر الجرجاني بأنه ((باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر)) [٧] .

وللحذف دلالات متعددة سواء أكان المحذوف مبتدأ أم خبراً أم مفعولاً به أم فعلاً أم حرفاً ، والقرآن الكريم يعمد إلى حذف بعض الكلمات أو الجمل التي ينطوي حذفها على بعض الأسرار التي يقتضيها المقام ، ولا يتم المعنى المقصود إلاّ بها ، قال عبد القاهر الجرجاني : ((فما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي ان يحذف فيها ، إلاّ وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره ، وإضماره في

---

[١] الخصائص : ٢ / ٣٦٠ .
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٣٦٠ ، والمثل السائر : ٢ / ٧٧ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ٧٧ ، وفي فلسفة البلاغة العربية (د. حلمي مرزوق) : ٢٠٤ .
[٣] الجملة العربية تأليفها وأقسامها : ٧٥ .
[٤] البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٠٢ .
[٥] ينظر : الكتاب : ١ / ٢٤ – ٢٥ .
[٦] ينظر : الخصائص : ٢ / ٣٦٠ وما بعدها .
[٧] دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

النفس أولى وآنس من النطق به)) [١] . ((والأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء بحيث يكون العدول عنه إفساداً له)) [٢] .

ولا يمكن حصر مواضع الحذف ؛ ((لأنها ليست تقعيداً منطقياً وإنما هي مواقف فنية ندركها في الموقف كله)) [٣] أي أن السياق هو المحدد لهذه المواضع .

وإذا كان للحذف أغراض ومعانٍ تؤدّى بغير الذكر ، فإن للذكر أغراضه التي لا يغني الحذف غناؤه فيها ، فكما أن الحذف في موطنه بليغ مطابق ، فإن الذكر في موطنه بليغ مطابق [٤] .

وللذكر أغراض مختلفة منها ، زيادة التقرير ، والتعريف بغباوة السامع ، والإهانة وغيرها [٥] .

ومما ورد في باب الذكر في مواقف الخصومة ما جاء في خصومة ابني آدم (قابيل وهابيل) في قوله تعالى :﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة ٣٠] ، فكان مقتضى الإيجاز أن يحذِف (فطوعت له نفسه قتل أخيه) ويقتصر على قوله (فقتله) لكنه عدل عن ذلك ؛ ((لقصد تفضيع حالة القاتل في تصوير خواطره الشريرة وقساوة قلبه ، إذ حدَّثه بقتل من كان شأنه الرحمة به والرفق))[٦] .

وتُستشف دلالة التعريف بغباوة السامع في ذكر الفعل في جواب إبراهيم (عليه السلام) لقومه : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء ٦٣] ، فهذا جواب من إبراهيم على سؤالهم في الآية التي قبلها :﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾

---

[١] دلائل الإعجاز : ١٥٢ – ١٥٣ .
[٢] البلاغة والأسلوبية (د. محمد عبد المطلب) : ٣١٣ .
[٣] فلسفة البلاغة العربية (د. رجاء عبد) : ٨١ .
[٤] ينظر : خصائص التراكيب : ١٨٠ .
[٥] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٧٨ .
[٦] التحرير والتنوير : ٦ / ١٧٢ .

[الأنبياء ٦٢]، وفي هذا السؤال دليل يغني عن ذكر المسند في الجواب كأن يقول:(بل كبيرهم هذا) ، لكن ذكره جاء متناسباً مع السياق الذي وردت فيه الآية ، وهو التعريف بغباوة السائلين وتفاهة عقولهم ، وأفكارهم [١] ؛((لأن في الحذف تعويلاً على ذكاء المخاطب وإشارة إلى فهمه)) [٢] .

أما الحذف فهو من ((القضايا المهمة التي عالجتها البحوث الأسلوبية والنحوية والبلاغية بوصفها انحرافاً عن المستوى التعبيري العادي)) [٣] .

ويمكن تصنيف الحذف في مواقف الخصومة على ثلاثة أنواع :

١- حذف حرف .

٢- حذف مفردة .

٣- حذف أكثر من مفردة .

فمما ورد من **النوع الأوّل** حذف حرف الياء مع (رب) في نداء الأنبياء ، وقد جاء هذا التركيب على لسان موسى (عليه السلام) :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة ٢٥] ، ففضلاً عمّا قاله بعضُهم إن الحذف هنا للمبالغة في تصوير القرب من الرب الذي معناه المربي والسنيد والمالك ، والقريب لا يحتاج في ندائه إلى وسائط [٤] ، يُشعِرُ هذا الحذف بشدّة خصومة قومه ورفضهم له بعد أن طلب منهم دخول الأرض المقدسة ، فقد جاء هذا الحذف بعد قولهم لموسى :﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾ [المائدة ٢٢] ، وقولهم :﴿ فاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة ٢٤].

أما **النوع الثاني** فقد ورد فيه كثير من المحذوفات منها (حذف الفاعل) كما جاء في معرض التكذيب ، في قول الكفرة من قوم نوح وعاد وثمود :﴿ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم

---

[١] ينظر : في فلسفة البلاغة العربية : ٢١٩ .
[٢] سورة الأنبياء دراسة دلالية : ٨٧ .
[٣] الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية (د. فتح الله أحمد سليمان) : ١٣٧ .
[٤] ينظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (د. عبد العظيم إبراهيم المطعني) : ٢ / ٤٢١ .

بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم ٩] ، فقد حذف فاعل الإنكار وهو الذات العليّة ؛ للإنكار والتجاهل ، ودلّ الحذف كذلك على أن هؤلاء ليس لهم أدنى شك بكذب المرسلين ؛ لأن الكفر هنا إنما يقصد به التكذيب بدلالة صحة رسالتهم [١] .

ومنه كذلك حذف المبتدأ ، فقد جاء في معرض تكذيب المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ [النحل ٢٤] والتقدير : ((هو أساطير الأولين)) [٢] ، فحذف المبتدأ بعد القول أو أحد مشتقاته ؛ للاحتراز من العبث ، وذِكْرُ المسند إليه لا يُعدّ عبثاً ولكنه يقلل من قيمة العبارة حينما تقوم عليه قرينة ويظهر للمخاطب [٣] ، وبإطلاق الأساطير المذكورة ، زعم منهم أن هذه من الصفات الغالبة على القرآن ، ففي هذا الحذف استهزاء واستخفاف واضحان للقرآن الكريم .

وورد كذلك حذف المفعول به في مقام الإنذار والتهديد ، كقول هود (عليه السلام) للمكذبين من قومه :﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف ٧١] ، وفي قول شعيب لقومه :﴿ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود ٩٣] ، فحذَفَ المفعول في (انتظروا) وفي (ارتقبوا) تخويفاً وتفظيعاً ، حتى تسلك النفس في فظاعة هذا الانتظار والارتقاب كل مسلك ، وهو واضح الإنذار والتهديد .

ومنه حذف الفعل كما جاء في قول نوح (عليه السلام) لقومه :﴿ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ﴾ [يونس ٧١] ، والتقدير فأَجْمِعوا أمركم واجْمَعوا شركاءكم [٤] ، أو فأجْمِعوا أمركم وادعوا شركاءكم ، وقد جاء ذلك صريحاً في قراءة ابن مسعود وأُبَي[٥] فأمركم معمول أجمعوا ، وشركاءكم معمول الفعل المحذوف ادعوا والدليل هو العرف اللغوي إذ لا يصح أن يتعلق

---

[١] ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ٩١ ، وتفسير المراغي : ١٣ / ١٣٣ ، والتفسير المنير (د، وهبة الزحيلي) : ١٣ / ٢١٧ ، والتفسير الوسيط (د. وهبة الزحيلي) : ١ / ٤٤٩ .
[٢] التحرير والتنوير : ١٤ / ١٣١ .
[٣] ينظر : علم المعاني (د. عبد العزيز عتيق) : ١٢٠ .
[٤] ينظر : شرح ابن عقيل : ١ / ٥٤٢ .
[٥] ينظر : الكشاف : ٣ / ١٦١ ، والمثل السائر (ابن الأثير) : ٢ / ٢٨٨ .

الشركاء بإجماع الأمر والرأي [١] ، وسبب هذا الحذف هو لإخراج المعمولين المختلفي العامل مخرج المعمولين لمعمول واحد لسبق إجماع الرأي على دعوة الشركاء [٢] .

أما **النوع الثالث** فقد ورد منه حذف الشرط وفعله وحذف جواب الشرط ، فمن حذف الشرط وفعله ما جاء في قول إبراهيم (عليه السلام) لأبيه :﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴾ [مريم ٤٣] ، فقد حذف فعل الشرط ؛ لدلالة الطلب والجواب عليه والتقدير (إن اتبعْتني أهدك صراطاً سوياً) ، والغرض من الحذف هو التعجيل بالجواب ، وهذا من أدب الخطاب عند الأنبياء ، فإبراهيم (عليه السلام) أراد أن يشعر أباه ((بسرعة حصول الهداية إلى الصراط المستقيم فور حصول المطلوب الذي هو الإتباع)) [٣] .

ومما ورد في حذف جواب الشرط ما جاء في قول شعيب (عليه السلام) لقومه :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً ﴾ [هود ٨٨] ، ففي هذا الرد على القوم المنكِرين حُذِفَ جواب الشرط والتقدير ((أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون ممّا لا خير فيه)) [٤] ، وورود هذا الحذف لدفع الخصم للتفكر وإعمال الذهن ولكي تذهب النفس كل مذهب يدعوها للتأمل وإعمال الفكر بعقلانية تؤدي بها الى قبول الحق لا محالة [٥] ، فقد أدّى الحذف هنا وسيلة من وسائل الجدل ألا وهي الدعوة الى التأمل والتفكر .

ويأتي حذف جواب الشرط في كلام الأقوام المخاصمة لأنبيائهم لتأكيد رفضهم لدعوة الأنبياء وتحدّيهم لهم ، من ذلك ما جاء في قول فرعون لموسى (عليه السلام) :﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف ١٠٦] ، فجواب الشرط المحذوف ((يدل عليه جواب الشرط الأوّل ، وتكرار الشرط مع بناء الجواب على الشرط بالفاء

---

[١] ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٢ / ٢٢ .
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٢ / ٢٢ .
[٣] خطاب الأنبياء : ١٨٧ .
[٤] إرشاد العقل السليم : ٣ / ٨١ .
[٥] ينظر : نظم الدرر : ٩ / ٣٥٨ .

يشعر بإلحاح فرعون على هذه الآية وطلبه على جناح السرعة تحدياً وإظهاراً للثقة بضعفها وعدم إلزامها ، وفي الحذف توكيد للرفض وإشعار بعدم وجود الآية)) [1] ، ومثله ما جاء في قول قوم عاد لنبيهم :﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف ٧٠] [2] .

وورد كذلك حذف الجملة بعد همزة الاستفهام ، كما في قول شعيب (عليه السلام) في مواجهة التهديد الصادر من خصومه :﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف ٨٨] ، فقد كره شعيب (عليه السلام) أن يجري لفظ العود على لسانه ؛ لأنه صعب عليه الرجوع إلى ملتهم ، وللتعجيل في إيقاع الخصم في الحرج [3] .

يستخلص مما سبق أن الحذف يضفي معاني متعددة وإضافية على الكلام ، وقد تبين ذلك الأمر في سياق الخصومة بتنوع الحذوفات التي صاحبت معانيَ لا تدرك بذكر المحذوف ، وهذه المعاني أفصحت عن نفسيات بعض المتخاصمين وما اختلجت به بواطنهم عند المخاصمة .

---

[1] خطاب الأنبياء : ١٨٩ .
[2] وينظر : الشعراء : ٣١ .
[3] ينظر : خطاب الأنبياء : ١٩١ .

المبحث الرابع

الجملة الاعتراضية

يعد الاعتراض من التراكيب ذات الدلالات المتعددة الإفادة [١] ، ويدخل بين طرفي التركيب ويتم به المعنى المقصود ، وهو من مستويات التركيب غير الاسنادي ولا يستغني عنه التركيب أحياناً إذا اقتضاه سياق الكلام [٢] . قال ابن جنّي :((اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير ، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد)) [٣] .

والجملة الاعتراضية عبارة ((عن جملة تعترض بين كلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم)) [٤] ، ويعرفها الزركشي بقوله :((أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ، ولا يفوت بفواته ، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لنكتة)) [٥] ، وهي ((ليست كلاماً لا علاقة له بأصل القول ، بل غالباً ما تأتي الجملة الاعتراضية لتؤكد بمحتواها مفاد الكلام وتؤيده)) [٦] ، وتدل على معان كثيرة منها التوكيد ، أو التوضيح والدعاء أو الترحم أو النداء [٧] وغيرها ، ولها مواضع عديدة بلغت عند ابن هشام (ت٧٦١هـ) سبعة عشر موضعاً [٨] .

وقد برزت معاني الجملة الاعتراضية ودلالاتها في سياق الخصومة ، فقد جاءت جملة الاعتراض في رد الله سبحانه على إبليس بعد أن قال :﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ ، فكان الرد :﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾

---

[١] ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ٤١٤ .
[٢] ينظر : اللغة في الدرس البلاغي (د. عدنان عبد الكريم جمعة) : ١٩٠ .
[٣] الخصائص : ١ / ٣٣٥ .
[٤] خزانة الأدب وغاية الأرب (تقي الدين الحموي) : ٢ / ٢٨٠ ، وينظر : جامع الدروس العربية : ٣ / ٢٠٣ ، والفوائد المشوّق : ٩٤ .
[٥] البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٥٦ .
[٦] الأمثل : ٦ / ٤٩٠ .
[٧] ينظر : المنتخب من كلام العرب (محمد جعفر الكرباسي) : ٢٢٨ ، والبيان في روائع القرآن : ١٨٣ .
[٨] ينظر : مغني اللبيب : ٥ / ٥٦ – ٨٣ .

[ص ٨٤ – ٨٥] ، فجملة الاعتراض (والحقَّ أقول) جاءت بعد تحدي إبليس ربه في غواية البشر ، فأقسم الله سبحانه بالحق ليملأن جهنم منه وممن تبعه وقبل أن يصل إلى المقسَم إليه اعترض بجملة (والحقَّ أقول) ومعناه ((لا أقول إلاّ الحق)) [١] ، فقد أكد قسمه بالجملة الاعتراضية ، كي لا يبقى لأحد أدنى شك أو تردد بهذا الشأن ((إذ لا سبيل لنجاة الشيطان وأتباعه)) [٢] . وفي هذا التأكيد دلالة توعد إبليس ومن يتبعه ، وكل ذلك يوضح لنا شدّة وقاحة إبليس في التجرؤ على مكابرة رب العزة سبحانه ومعاندته في هذا الموقف .

وجاء الاعتراض في سياق التحدي للمخاصمين بشأن القرآن في قوله تعالى :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٣ – ٢٤] ، فجملة (ولن تفعلوا) معترضة بين الشرط وجوابه ، جاءت في سياق التحدي في معارضة القرآن الكريم ، وهي مكوّنة من حرف النفي (لن) الذي يفيد التأكيد الشديد [٣] ، وفائدتها – أي الجملة الاعتراضية – بيان وتأكيد عجزهم من الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم [٤] ؛ لأن هذا غير متاح لهم ولو تضافرت هممهم عليه ، قال أبو حيان :((لمّا قال : فإن لم تفعلوا ، وكان معناه نفي في المستقبل مُخرِجاً ذلك مخرج الممكن ، أخبر أن ذلك لا يقع ، وهو إخبار صدق ، فكان في ذلك تأكيد أنهم لا يعارضونه)) [٥] .

ويتضح هذا المقصد بهذا النمط التركيبي في خصومة قوم نوح في قوله تعالى:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ

---

[١] الكشاف : ٥ / ٢٨٤ .
[٢] الأمثل : ١٤ / ٥١٢ .
[٣] ينظر : إرشاد العقل السليم : ١ / ١١٧ .
[٤] ينظر : التحرير والتنوير : ١ / ٣٤٢ .
[٥] البحر المحيط : ١ / ٢٤٩ .

تُنظِرُونِ ﴾ [يونس ٧١] ، فيُلحظ موقف التحدي من نوح (عليه السلام) مع قومه بعد الإنذار الطويل ، والتذكير الطويل ، والتكذيب الطويل ، وللجملة الاعتراضية (فعلى الله توكلت) اثر في هذا الشأن ، فهي قد توسطت بين الشرط وجوابه إذا اعتبرنا الرأي القائل بأن جملة (فأجمِعوا أمركم) هي الجواب [١] ، فقبل أن يخبرهم نوح (عليه السلام) بجملة الجزاء الشرطي وقيودها الخمسة في قوله (فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون) التي يرهب لها أيّ شخص ، أخبرهم انه غير مكترث بكل ما يكيدونه ثقة بالله الذي يحفظ أنبياءه .

أما تركيب الجملة المعترضة (فعلى الله توكلت) فإنه في أعلى رتب البلاغة في تعبيره عن المعنى المقصود وتصويره لحالة نوح النفسية تصويراً دقيقاً ؛ لأن في الجملة (فعلى الله توكلت) تقديم ما حقه التأخير وهو الجار والمجرور (فعلى الله) لإفادة قصر توكله على الله ، أي على الله لا على غيره [٢] ، إذ إن توكل نوح (عليه السلام) كان محصوراً بالله مختصّاً به ، لذلك جاءت جملة الجزاء الشرطي مليئة بالتحدي، وهو تحدي الواثق من النصر .

ومما سبق يتضح أن للجملة الاعتراضية دلالة معيّنة ، لا يمكن إدراكها لو لم يرد الاعتراض ، وبذا تكون ظاهرة لغوية اقتضاها النظم القرآني وأفادت معنًى إضافياً لسياق الخصومة .

---

[١] وهو رأي أكثر المفسرين ، ينظر : التفسير الكبير : ١٧ / ١٤٣ ، والبحر المحيط : ٥ / ١٧٦ – ١٧٧ ، وإرشاد العقل السليم : ٢ / ٦٩١ وغيرها .

[٢] ينظر : التحرير والتنوير : ١١ / ٢٣٨ .

المبحث الخامس

الفصل والوصل

يتألف الكلام العربي من جمل متراصفة تؤدّي المعنى المقصود ، وهذه الجمل إما أن تكون موصولة أو مفصولة ، فما دام بين أيدينا جمل فلا مفر من أن يكون بين أيدينا فصل ووصل .

والفصل يعني ((ترك عطف بعض الجمل على بعض ، والوصل عطف بعضها على بعض)) [١] أو هو ((العلم بمواضع العطف والاستئناف ، والتهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها)) [٢] .

وقد تناول البلاغيون هذا الباب بالعناية الخاصة ، فقد وُصفَ بأنه ((صعب المسلك ، دقيق المأخَذ ، لا يعرفه على وجهه ، ولا يحيطه علماً بِكُنْهِ ، إلا من أُوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ، ورزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً)) [٣] . ووصفه الجرجاني بأنه من أسرار البلاغة ولا يدركه إلاّ قوم طبعوا على البلاغة ، وأنه أصعب علوم البلاغة [٤] . وقد جعل بعضهم البلاغة معرفة الفصل من الوصل [٥] . وترتبط ظاهرة الفصل والوصل ارتباطاً وثيقاً بمقامات وأحوال الكلام المختلفة [٦] ، وقد عد التفتازاني (ت٧٩١هـ) الابتداء بالفصل الأصل ؛ لأن الوصل عارض على الفصل ، وقد علّق على كلام القزويني في ذلك بقوله :((بدأ بذكر الفصل لأنه الأصل ، والوصل طارئ عليه عارض حاصل بزيادة حرف من حروف العطف)) [٧] .

---

[١] معجم المصطلحات البلاغية : ٣ / ١١٨ ، وينظر : التعبير القرآني : ١٤٥ ، والمعاني في ضوء أساليب القرآن (د. عبد الفتاح لاشين) : ٢٨٦ ، ومن بلاغة النظم العربي (د. عبد العزيز عرفة) : ٢ / ١٥٠ .
[٢] الفوائد المشوّق : ١٨٥ ، وينظر : دلائل الإعجاز : ٢٢٢ .
[٣] الإيضاح في علوم البلاغة : ١١٨ .
[٤] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٢٢ – ٢٣١ .
[٥] ينظر : البيان والتبيين (الجاحظ) : ١ / ٨٨ .
[٦] ينظر : اللغة في الدرس البلاغي : ١٩٧ .
[٧] شرح السعد عل تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص : ٣ / ٢ .

مواضع الفصل :

أولاً / كمال الاتصال :

يتضمن هذا النوع من الفصل ثلاثة أشكال تكون الجملة الثانية جزءاً من الأولى ، فهي إما أن تكون توكيداً للأولى ، أو بياناً لها ، أو بدلاً منها [١] ، فالتابع هنا عين المتبوع والشيء لا يعطف على نفسه إذ لا مغايرة بينهما [٢] ، فالفصل لا يعني ((تفكيك التركيب وانتفاء المناسبة ؛ لأن في ذلك إساءة إلى تلاحم النظم ورصفه)) [٣] .

١- البدل :

وهو أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى وهو قسمان :

أحدهما : ((أن تنزل الثانية من الأولى منزلة البعض من متبوعه)) [٤] ، ومنه ما جاء في قول هود (عليه السلام) لقومه :﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء ١٣٢ – ١٣٤] ، فالجملة الثانية (أمدكم بأنعام وبنين) بدل بعض من الجملة الأولى ، على سبيل التفصيل بعد الإجمال ، ((فلمّا أجمل فصّل ؛ ليكون أكمل فقال : أمدّكم بأنعام ، أي تعينكم على الأعمال وتأكلون منها وتبيعون)) [٥].

فالفصل هنا جاء للتنبيه ((الذي يهيء السامعين لتلقي ما يرد بعده)) [٦] من جهة ، وتجسيداً لعنادهم في خصومتهم لنبيّهم ، وتوبيخهم عليها من جهة أخرى .

والآخر : أن تكون الجملة الثانية على سبيل بدل الاشتمال من الأولى [٧] ، ومنه ما جاء في قوله تعالى :﴿ وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس ٢٠ – ٢١] ، فالفصل هنا جعل الجملة

---

[١] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢١ – ١٢٣ ، وعلم المعاني (عتيق) : ١٥٦ .
[٢] ينظر : في البلاغة العربية أسرار الفصل والوصل (د. صباح عبيد دراز) : ١٠٤ .
[٣] اللغة في الدرس البلاغي : ١٩٧ .
[٤] الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٢ .
[٥] نظم الدرر : ١٤ / ٧١ ، وينظر : الميزان : ١٥ / ٣٠١ .
[٦] التحرير والتنوير : ١٩ / ١٧٠ .
[٧] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٢ .

الثانية بدل اشتمال من سابقتها [١] ، والمراد من هذا الفصل حمل المخاطب – المعاند والمخاصِم – على إتباع الرسل ، فقد أراد أن يبعدهم – أي المرسلين – عن الدنس ويجعلهم في خاصة الصادقين [٢] ، حينما جعل عدم سؤال الأجر صفةً خُلقيّة فيهم .

٢- **البيان :**

وهو ((أن تكون الثانية بياناً للأولى ، وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء إزالته)) [٣] ، ومثاله في مواقف الخصومة ما جاء في قول شعيب (عليه السلام) لقومه :﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود ٨٨] ، فجملة (إنْ أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت) جاءت توكيداً لقوله (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) ، فالجملة الثانية أكدت معنى الأولى ، وهو عدم مخالفته عمّا ينهاهم عنه ، وأن المراد إثباته لهم هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته [٤]، وفي ذلك ترغيب لا يُنكر .

ومنه كذلك ما جاء في سياق خصومة قوم نوح في قوله تعالى :﴿ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود ٣٧] ، فجملة (إنهم مغرقون) أكّدت ما سبقها من باب التأكيد للمترادف في الأمر [٥] ، فكأن تردداً قد حصل عند قوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ماذا سيفعل بهم فأكّد لوجود التردد ، فجاءت الجملة منفصلة لذلك [٦] .

ومنه كذلك ما جاء في قول صالح (عليه السلام) لثمود :﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود ٦١] ، حيث فُصِلت جملة (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) عن سابقتها ؛ لأنها

---

[١] ينظر : المصدر نفسه : ١٢٢ ، ودلالات التراكيب : ٣٠٣ .
[٢] ينظر : نظم الدرر : ١٦ / ١١٠ .
[٣] الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٣ .
[٤] ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ١٤٥ .
[٥] ينظر : معارج الصعود إلى تفسير سورة هود (عبد الله أحمد قادري) : ١١٤ .
[٦] ينظر : سورة هود دراسة لغوية دلالية : ١٩٢ .

بمنزلة البيان ، فقوله (هو أنشأكم) كشْف وتوضيح وتعليل لإبهام (ما لكم من إله غيره) ، وكأن قومه كانوا ((مثل مشركي قريش لا يدّعون لأصنامهم خَلقاً ولا رزقاً ، فلذلك كانت الحجة عليهم ناهضة واضحة)) [١] .

ثانياً / شبه كمال الاتصال :

وهو ما كانت الجملة فيه جواباً عن سؤال مقدر مفهوم من الجملة [٢] ، فالجملة الثانية – في هذا النوع من الفصل – تكون سبباً عن الأولى والحكم بالفصل بينهما على أساس تقدير سؤال عن فحوى الجملة ، وهو ما أصطلح عليه بـ(الإستئناف البياني) [٣] ((وأظهر حاله لشبه كمال الاتصال هي الجمل التي تبدأ بالقول نحو (قال ، وقيل)))[٤] وقد كثر هذا النوع في سياق الخصومة ؛ لاعتماد مواقفها على الحوار الذي يكثر فيه القول ، من ذلك ما جاء في سياق خصومة قوم إبراهيم في قوله تعالى :﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [الأنبياء ٦٢] ، فالفصل بين جملة (قالوا) وما قبلها ((للاستئناف البياني المبني على سؤال مقدر ناشيء من حكاية أمرهم بإحضاره أمام الناس كأنه قيل : فماذا تفعلوا به بعد ذلك)) [٥] والجواب قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ، والحقيقة أنهم أرادوا في هذا الاستئناف البياني المصدّر بالاستفهام حمله على الإقرار بأنه كسّر أصنامهم وجعلها جذاذاً [٦] .

ومنه ما جاء في سياق خصومة المنافقين في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة ١٤ – ١٥] ، فالجملة الثانية (الله يستهزئُ بهم) جاءت جواباُ لسؤال مقدر ؛ ((لأنه تعالى لمّا أخبر عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تشوّق السامعون إلى العلم بمصير

---

[١] التحرير والتنوير : ١٢ / ١٠٧ .
[٢] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٤ .
[٣] ينظر : مغني اللبيب : ٥ / ٤٠ .
[٤] ينظر : سورة هود دراسة لغوية دلالية : ١٩٦ .
[٥] خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم : ١٣٧ .
[٦] ينظر : دلائل الإعجاز : ١١٣ .

أمرهم فكأنه قيل ماذا فعل الله بهم فقال (الله يستهزئ بهم .....))) [1] ، وربما يتبادر إلى الذهن السؤال المقدّر ، بعد أن فعل المنافقون ذلك من سيرد كيدهم ويجازيهم على استهزائهم ، فجاء الجواب في الجملة المفصولة (الله يستهزئ بهم .....) ، فالفصل هنا يشعرنا بشدة عداوة المنافقين وتحاملهم على المؤمنين حتى إن الله سبحانه وتعالى هو الذي تولّى الرد عليهم مشاكلةً لأسلوبهم .

ثالثاً / كمال الانقطاع :

ويكون بعدم وجود مسوّغ للوصل بين الجملتين لا شكلاً ولا معنى ، أما من حيث الشكل فاختلافهما خبراً وإنشاءً في اللفظ والمعنى أو في المعنى فقط [2] ، وأما من حيث المعنى فانعدام المناسبة بينهما [3] وإن اتفقتا في الخبر والإنشاء ، من ذلك ما جاء في قول نوح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود ٢٦] ، فجملة (إني أخاف عليكم) خبرية لفظاً ومعنى أعقبت الإنشائية لفظاً ومعنى ، فوقع الفصل بعد هذا الاختلاف ، فدلّت الجملة المفصولة عن سابقتها على التوقع في الأمر المقطوع به ، فنوح (عليه السلام) يعلم ما تؤول إليه عاقبة أمرهم من الإيمان أو الكفر وهذا ألطف في الاستدعاء والترغيب في الأمر [4] ، وهذا من شأن الداعي إلى الخير ، الترغيب والإفصاح عمّا بداخله بصدق ، حتى لا تكون حجة عليه بعد ذلك .

مواضع الوصل :

الوصل كما بيّنا عطف جملة على جملة بحرف واو ، والجدير بالذكر أن علماء المعاني قد قصروا عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل بالواو دون بقية

---

[1] الفوائد المشوّق : ١٨٧ .
[2] ينظر : مفتاح العلوم (السكاكي) : ٣٦١ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٠ .
[3] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٠ .
[4] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٢٦٤ ، والتحرير والتنوير : ١٢ / ٤٤ .

حروف العطف [١] ؛ وذلك لأن الواو لا تفيد إلاّ العطف والتشريك مطلقاً [٢] ، أما غيرها من الحروف فتفيد مع الإشراك معاني أخرى مثل (الفاء) التي توجب الترتيب من غير تراخٍ ، و (ثم) توجبه مع تراخٍ ، و (أو) التي تفيد التردد بين شيئين [٣] و(بل) التي تفيد الإضراب [٤] ، لذا فالواو ((تحتاج إلى دقة وصعوبة وذكاء بشر يعرف أسرار الكلام ، ومتى يقتضي ذكر الواو وحذفها)) [٥] ، ومواضع الوصل الواردة في سياق الخصومة :

أولها / ما اتفقت فيها الجملتان خبراً وإنشاءً مع المناسبة في المعنى [٦] ، من ذلك ما جاء في خصومة فرعون موسى في قوله تعالى :﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف ١٢٧] ، فقد تعدد العطف هنا ، فجملة (ونستحيي) معطوفة على جملة (سنقتل أبناءهم) ، وجملة (وإنّا فوقهم) معطوفة على سابقتها (سنقتّل أبناءهم) ، ووازع هذا الوصل هو الاتفاق في الإخبار ، فالجمل المعطوفة اتفقت في الخبرية وهذا يشعرنا بشدّة اعتداد فرعون بنفسه وعدم استطاعة موسى وقومه الخروج عن طاعته فهو قادر على قهرهم ، ((وإيذان بعدم المبالاة بهم وأن أمرهم فيما بعد كأمرهم فيما قبل وإن قتلهم عبث لا ثمرة فيه)) [٧] .

ومنه كذلك ما جاء في عطف الجملة الإنشائية على مرادفتها في قول صالح (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى :﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود ٦٤] ، فقد عطف جملة النهي (ولا تمسوها) على جملة الأمر (فذروها) ؛ للمبالغة في النهي عن التعرض لها بأدنى سوء

---

[١] ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٨٣ ، وعلم المعاني (عتيق) : ١٥٥ ، ومن بلاغة النظم العربي : ٢ / ١٤٩ .
[٢] ينظر : الكتاب : ٣ / ٥٢ ، وشرح المفصل : ٥ / ٦ .
[٣] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٢٤ .
[٤] ينظر : مغني اللبيب : ٢ / ١٨٤ .
[٥] في البلاغة العربية أسرار الفصل والوصل : ١٧ .
[٦] ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٢٧ .
[٧] روح المعاني : ٩ / ٢٩ .

، فقد أبرزت الواو معنى المغايرة بين الأمر والنهي ، وفي ذلك مبالغة لتكرار الطلب بالفعل وبالكف عن الفعل [١] .

والثاني / ان يكون للجملة الأولى محل من الإعراب ، والقصد من العطف إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الأعرابي [٢] ، وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين[٣] ومن هذا ما جاء في خصومة بني إسرائيل نبيهم في قضية ملوكيّة (طالوت) عليهم في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة ٢٤٧] ، فجملة (ونحن أحق بالملك منه) حاليّة [٤] ، ووصلت بها جملة (ولم يؤت سعة من المال) عطفاً عليها ، وسياق الجملتين في معرض المحاجّة والمجادلة ، والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك ؛ لوجود من هو أحق بالملك ، وأنه فقير ولابد للمُلْك من مال يُعضَدُ به [٥] ، ويكفي به نوائب الأمّة فينفق المال في العدد والعطاء وإغاثة الملهوف [٦] ، فقد أرادوا بهذا الوصل أن يعضدوا سببهم الأوّل – بعدم قبوله – وهو أنه ليس من سبط يهوذا الذي تنحدر منه الملوك [٧] ، فضلاً عن أنه لا يملك المال.

---

[١] ينظر : خطاب الأنبياء : ٢٤٠ .
[٢] ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٢٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ١١٩ ، وفي علم المعاني (عتيق) : ١٦٢ ، والفصل والوصل في القرآن الكريم (د. منير سلطان) : ٦٨ .
[٣] ينظر : جواهر البلاغة : ١٦٣ ، ومعجم المصطلحات البلاغية : ٣ / ١٢٥ .
[٤] ينظر : الكشاف : ١ / ٤٧٢ ، والتبيان في إعراب القرآن (العكبري) القسم الأول / ١٩٧ ، والتحرير والتنوير : ٢ / ٤٩١ .
[٥] ينظر : الكشاف : ١ / ٤٧٢ .
[٦] ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ٤٩١ .
[٧] ينظر : الكشاف : ١ / ٤٧٢ .

الفصل الثالث :

التوظيف الدلالي لوسائل التعبير الفني في سياق الخصومة

المبحث الأول : دلالة التركيب

المبحث الثاني : دلالة الخطاب

المبحث الأول

(دلالة التركيب)

أولاً / الاتساق التعبيري في التراكيب

ثانياً / المشاكلة

ثالثاً / التكرار

رابعاً / الفاصلة

خامساً / الالتفات

المبحث الأول

دلالة التركيب

اتساق التعبير في التراكيب

تتميّز بعض مواقف الخصومة بالتكرار، فقد يرد ذكر خصومة معينة في عدة سور من القرآن الكريم وينشأ عن هذا التكرار – في اغلب الأحيان – اختلاف في الطرح من ناحية الألفاظ أو التراكيب على حد سواء ، وهذا الاختلاف ناشئٌ عن تعدد السياق ولابد لكل سياق خصوصيته ، فخصومة إبليس _ مثلاً _ في سورة (الإسراء) تختلف عن خصوصية سياقها في سورة (ص) ، وهكذا الحال مع بقية الخصومات ، والبحث يتناول هذه الاختلافات لما لها من أثر في التناسب والتناسق في آيات الخصومة ، ويمكن تلمس هذه الاختلافات من ناحية :

_ الاختلاف في الحرف .

_ الاختلاف في اللفظ .

– الاختلاف في التراكيب .

أما الاختلاف في الحرف فمثاله ما ورد في الاختلاف في حرفي (الواو والفاء) في خصومة المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى:﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص ٤] ، وفي قوله تعالى :﴿ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق ٢] ، فقد جاء العطف بحرف الواو في سورة (ص) :(وقال الكافرون) وبحرف الفاء في سورة (ق) :(فقال الكافرون) ، ولكل تعبير من هذين التعبيرين سبب يناسبه ، فآخر آية (ق) :(هذا شيءٌ عجيب) مرتبط بأولها لفظاً ومعنى وهو أنه عجبوا عقب الإخبار عنهم بأنهم عجبوا فقالوا : هذا شيءٌ عجيب ، فناسب فيه ذكر الفاء ، أمّا آية (ص) فقد خبّر عن عجبهم قولاً وفعلاً ، فبدأت

الآية بقوله :(وعجبوا أن جاءهم) وختمت بقولهم :(هذا ساحر كذاب) فما بعد الواو لا يرجع إلى أوّل الآية فأقتضى الواو [١] .

وجاء عند الكرماني (ت ٥٠٥هـ) أن اتصال العاطف في (ص) معنوي فقط وهو أنهم عجبوا من مجيء المنذر وقالوا هذا ساحر كذاب ، واتصاله في (ق) معنوي ولفظي وهو أنهم عجبوا فعبروا عن عجبهم فقالوا :((هذا شيءٌ عجيب)) ، فراعى المطابقة بالعجز والصدر وختم بما بدأ به [٢] ، وجاء ذكر بعض المفسرين مقارباً لهذا التأويل ، فقد رأى ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) أن ما قيل في آية (ق) يصلح سبباً لما قيل بعده فجاءت بالفاء ، وما قيل في آية (ص) لا يصلح أن يكون سبباً لقولهم :(ساحرٌ كذاب) فجاءت بالواو العاطفة [٣] .

وممّا ورد في هذا المنحى زيادة الحرف في التعبير عن الخصومة الواحدة ، من ذلك ما جاء في خصومة إبليس في قوله تعالى :﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف ١٢] ، وقوله تعالى :﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص ٧٥] ، فالفرق في التعبيرين زيادة (لا) التي جاءت لتوكيد معنى الفعل ، ولهذه الزيادة مناسبة خاصة في السياق الواردة فيه ، فقد علل الدكتور (فاضل السامرائي) ذلك بعد أن نظر إلى سياق السورتين ، فسورة الأعراف _ التي حظيت بالزيادة _ تحوي القسط الأكبر من التوكيدات فاقتضى ذلك أن يؤتي بـ(لا) الزائدة المؤكدة ، فضلاً عن أن الخصومة في سورة الأعراف كان فيها مقام السخط والغضب أكبر منه في قصة (ص) ، بعد ذكر أسم (إبليس) وصيغة الطرد :﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الاعراف١٣] ، وتكرار الطرد في الآيات اللاحقة :﴿ قَالَ اخْرُجْ

---

[١] ينظر : درّة التنزيل (الخطيب الاسكافي) : ٣ / ١١٠٠ – ١١٠١ .
[٢] ينظر : أسرار التكرار في القران (الكرماني) : ٢١٦ ، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (الأنصاري) : ٤٨٦ .
[٣] ينظر : كشف المعاني (بدر الدين ابن جماعة) : ٣١٠ .

مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً﴾ [الأعراف١٨] ، فكل ذلك ناسب زيادة (لا) المؤكّدة للسياق [١] .

وممّا ورد من النوع الآخر – الاختلاف في اللفظ – ما جاء في الاختلاف بين الاسمّية والفعليّة ، فقد ورد في قول نوح (عليه السلام) لقومه :﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف٦٢] وفي قول هود (عليه السلام) لقومه :﴿ وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف٦٨] فقد جاء التعبير في الأولى بالفعل (أنصح) ، وفي الثانية بالاسم (ناصح) ، وقد علل الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) ذلك بأن قوم نوح اتهموه بأنه في ضلال ، وقوم هود اتهموه أنه في سفاهة والتهمتان مختلفتان ، لأن الضلال في تهمة نوح (عليه السلام) فعل يفعله الضال ، وهو صفات الأفعال غير الثابتة التي يمكن معها الانتقال إلى أضدادها في الزمن القصير مراراً ، فجاء الرد بصيغة الفعل المضارع (أنصح) الدال على التجدد لتحدث المناسبة بين قولهم وقوله ، أما السفاهة في تهمة هود (عليه السلام) فهي ((من صفات النفس ، وهي ضد الحلم وهو معنى ثابت ...فلمّا رُمي بها وهي من الخصال المذمومة البطيئة وليست من الأفعال التي ينتقل الإنسان عنها إلى أضدادها في الزمن القصير ، فكان نفيها بصفات ثابتة تبطلها أولى))[٢].

ومن الاختلاف الحاصل في اللفظ تباين الدلالة بين الفعلين المتقاربين في المعنى ، فقد جاء في خصومة فرعون موسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الأعراف ١١١] وفي قوله تعالى :﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [الشعراء٣٦] فنلحظ الاختلاف بين الآيتين في فعل الأمر (أرسل) و(أبعث) ، وللخطيب الاسكافي ملحظ دقيق في التفرقة بين السياقين ، وهو أن فرعون في سورة الأعراف تعالى على الناس ولم يخاطبهم بنفسه ، وأخذ الملأ دوره في ذلك فكان الجواب بالفعل (أرسل) ؛ لأن الإرسال أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل ، أما في سورة الشعراء فقد تولى فرعون نفسه مخاطبة قومه إذ ساوى قدرهم بقدره ، فخُص هذا الموضوع

---

[١] ينظر : معاني النحو : ٣ / ٢٩٧ – ٢٩٨ .

[٢] درة التنزيل وغرّة التأويل : ٢ / ٦٠٤ – ٦٠٦ ، و ينظر : ملاك التأويل (ابن الزبير الغرناطي) : ٢٥٦ – ٢٥٨ ، وكشف المعاني : ١٧٩ .

بالفعل (ابعث)؛ لأنه مخالف للموضوع الأوّل ، ففي الأوّل تعظيم وتفخيم ناسبهُ (أرسل) ، وفي الثاني ترخص في العلاقة فكان (ابعث) مناسبة لمقتضى الحال [١] .

أما النوع الآخر – الاختلاف في التركيب – فقد ورد فيه الاختلاف في الأنماط التركيبية كالذكر والحذف والتقديم والتأخير ، فمن الاختلاف في الذكر والحذف ما جاء في خصومة فرعون لموسى (عليه السلام) قول السحرة في سورة الأعراف :﴿ قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الأعراف ١٢٥] وقولهم في سورة الشعراء:﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء٥٠] فقد ذكرت (لا ضير) في الشعراء وحذفت في الأعراف .

وقد ذهب الاسكافي والكرماني إلى أن قصة موسى في الأعراف مبنيّة على الاختصار ، فلم تذكر (لا ضير) اختصاراً ، أما الشعراء فالإطناب فيها واضح ، إذ ذُكر فيها أوّل أحوال موسى مع فرعون إلى آخرها فبدأ بقوله :﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾ وختم بقوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ ؛ ولهذا وقع فيها زوائد لم تقع في الأعراف فجاءت (لا ضير) مناسبة لهذه الزيادة [٢] .

بينما يرى ابن جماعة – بعد أنْ نظر الى سياق الآية – أن الوعيد في آية الشعراء أشد فناسب ذلك مقابلتهم له بعدم التأثر به في مقابلة ما يرجونه عند الله تعالى [٣] . يقول الدكتور فاضل السامرائي :((فلو أنهم قالوا في الأعراف :(لا ضير) دون الشعراء لظن أنهم هابوا التهديد الشديد فلم ينطقوا بما يدل على عدم الاكتراث إذ من المعتاد أن يرهب الإنسان التهديد الكبير دون الصغير، أما إذا استهانوا بالتهديد الكبير ولم يكترثوا به فإن ذلك يدل – ولاشك – على أنهم أقل اكتراثاً بالتهديد الأدنى وأقل رهبة له ، فناسب هذا أن يقولوه في موطن التهديد الشديد دون الأدنى)) [٤] .

---

[١] ينظر : درة التنزيل وغرّة التأويل : ٦٥٤ – ٦٥٥ ، وكشف المعاني : ١٨٦ – ١٨٧ .
[٢] ينظر : درة التنزيل وغرّة التأويل : ٦٨٠ – ٦٨١ ، وأسرار التكرار في القرآن : ١٢٩ .
[٣] ينظر : كشف المعاني : ١٨٨ .
[٤] التعبير القرآني : ٣٠٧ .

ومما ورد ذكره في الاختلاف في التقديم والتأخير ، ما جاء في خصومة قوم نوح (عليه السلام) رده عليهم :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [هود٢٨] ، وفي السورة نفسها في قصة صالح (عليه السلام) :﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ [هود ٦٣] ، فالاختلاف في التقديم والتأخير بين (رحمة ومنه) ، وتوجيه ذلك أن قوم صالح (عليه السلام) قد بالغوا في إساءة الجواب حيث قالوا :(قد كنت فينا مرجواً قبل هذا) فرموا مقامه النبوي بحط مرتبته عنهم ، فلمّا بالغوا في إساءة الجواب ، جاوبهم (عليه السلام) رداً لمقامهم الشنيع بقوله :﴿ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ ، فقد أكّد بتقديم المجرور(منه) أن الرحمة منه سبحانه لا يشاركه فيها غيره ، وهو تعبير مخصوص لا يحصل مع تأخيره ، ولمّا لم يكن في مراجعة قوم نوح مثل هذا في شناعة الجواب جاء التعبير بالمجرور مؤخراً في محله على ما يجب [1] .

[1] ينظر : ملاك التأويل : ٢ / ٦٥٢ – ٦٥٤ .

المشاكلة

تبرز المشاكلة بوصفها وسيلة من وسائل الرد تارة في الاستهزاء وتارة أخرى للتهديد والوعيد ، فضلاً عن كونها تناسباً لفظياً يُحدِثُ نسقاً في الكلام .

والمشاكلة : هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته [١] . ((وفيها تخييل حسن لا يخلو عن طرافة تعود على المعنى)) [٢] ، فضلاً عن حملها الصور المجازية ، التي يزداد أثرها في بلاغة العبارة وجمال الأسلوب [٣] .

ومن أمثلة المشاكلة في مواقف الخصومة ما جاء في خصومة المنافقين في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة ١٤_١٥] ، فقد صّرحت الآية باستهزاء الله سبحانه بهؤلاء المنافقين ، ولا يُسند هنا الاستهزاء إلى الله إلّا عن طريق المشاكلة [٤] ، فالمشاكلة هنا بمثابة ((تمثيل لمعاملة الله إيّاهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين ، بما يشبه فعل المستهزئ بهم وذلك بالإملاء لهم حتى يظنوا أنهم سلموا من المؤاخذة على استهزائهم فيظنوا أن الله راضٍ عنهم)) [٥] ، وهذا استدراج حكيم من الله عز وجل حتى إذا أخذهم لم يفلتهم .

وجاء في كلام نوح (عليه السلام) برده على قومه في قوله تعالى :﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود ٣٨] فإطلاق السخرية من نوح (عليه السلام) للمشاكلة [٦] ، لأن سخريته من الكافرين من سفه

---

[١] ينظر : مفتاح العلوم : ٥٣٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٣ .
[٢] التكرير بين المثير والتأثير (د. عز الدين السيد) : ٢٤٤ – ٢٤٥ .
[٣] ينظر : دراسات في البلاغة العربية (د. عبد العاطي علاّم) : ١٨٠ .
[٤] ينظر : فتح القدير : ١ / ٤٤ .
[٥] التحرير والتنوير : ١ / ٢٩٤ .
[٦] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣ / ٤١ – ٤٢ .

عقولهم وجهلهم بالله وصفاته [١] ، فقد شاكل كلامهم وأطلق على رده بالسخرية ؛ ليكون أوقع في نفس الساخر فيقلع عمّا هو فيه [٢] .

وجاءت المشاكلة في التعقيب على خصومة كفار بني إسرائيل عيسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران ٥٤] ، فالمكر الأوّل حقيقي وهو تدبيرهم على الفتك بعيسى وقتله [٣] ، ومن جانب الله المجازاة على مكرهم وتدبيرهم [٤] ، مشاكلةً لوقوعه في صحبة مكرهم المذكور [٥] ، وهو إشارة من القرآن الكريم إلى أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم [٦] ، وسمّى مُجازاتهم مكراً ؛ لأن المُجازاة لهم ناشئة عن المكر وكثيراً ما تسمى العقوبة باسم الذنب [٧] . والعدول إلى لفظ المكر في جانب الله ؛ لتربية الرهبة في نفوس الماكرين ؛ لأن الويل كلّه لمن مكر الله عليه [٨] .

ومن المشاكلة ما جاء في خصومة المشركين في قوله تعالى :﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً ، وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ [الطارق١٥-١٦] فالمشاكلة حاصلة بين كيد الكافرين وكيد الله عز وجل ، والكيد ((إرادة مضرة الغير خفية)) [٩] ، وهو ضرب من الاحتيال [١٠] ، وهذا المعنى واضح في كيد الكفار ، أما كيده سبحانه فهو ((استدراجهم من حيث لا يعلمون والإملاء

---

[١] ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٦٨ .
[٢] ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٢ / ٤٢٥ .
[٣] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣ / ٣٩٢ .
[٤] ينظر : معاني القرآن المنسوب للزجاج : ٣٧٧ .
[٥] ينظر : دراسات منهجية في علم البديع (د. الشحات محمد أبو ستيت) : ١٤٢ .
[٦] ينظر : وشى الربيع في أنواع البديع (د. عائشة حسين فريد) : ٥٤ .
[٧] ينظر : البحر المحيط : ٢ / ٤٩٥ .
[٨] ينظر : خصائص التعبير القرآني : ٢ / ٤٢٥ .
[٩] التعريفات : ٢٤١ .
[١٠] مفردات غريب القرآن (كيد) : ٥٧٠ .

لهم حتى يأخذهم على غرّة)) [١] فهو إفساد لكيدهم وإبطال لتدبيرهم ورد لوبالهم عليهم [٢] ، فواضح التهديد في كيد الله عز وجل للمشركين ، وهو تسمية للعقوبة باسم الذنب [٣] .

---

[١] بدائع التفسير (ابن القيم الجوزية) : ٣ / ٢٩٠ ، وينظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٢٦٨ .
[٢] ينظر : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم (د. محمد إبراهيم شادي) : ٣٤ .
[٣] ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٥٦١ .

التكرار

إن التكرار من أبرز صور التناسق الجمالي [١] ، ويتميز في النص القرآني بخلوه من التكلف ومسايرته لمقتضيات التعبير الفني [٢] ، وله أهمية واضحة في بيان المعاني القرآنية ؛ لأنه يُذكر لتأكيد ما يريد القرآن تقريره في النفوس [٣] ، ويشكل التكرار نغماً موسيقياً مقصوداً [٤] ، يوجه فكر المتلقي إلى الحدث وقد عُدَّ أنه ((أقوى أساليب الترسيخ والإقناع وأشدها إيحاءً بالحسم والجد)) [٥] .

والتكرار مأخوذ في اللغة من كرر إذا ردد وأعاد ، ويقال : كرر الشيء تكريراً إذا أعاده مرّة بعد أخرى [٦] ، فهو يعطي معنى الإعادة والترجيع ، أما التكرار في الاصطلاح : فهو دلالة اللفظ على المعنى مردداً [٧] ؛ لتأكيد الوصف أو المدح أو التهويل أو الوعيد [٨] ، ويهمنّا في هذه الدراسة بيان أهمّية التكرار وما يضفيه من تناسب وتناسق في سياق الخصومة ، ويمكن تقسيم التكرار الوارد في سياق الخصومة على ثلاثة أقسام :

- التكرار في الصوت المفرد .
- التكرار في اللفظ المفرد .
- التكرار في الجملة .

أولاً / التكرار في الصوت المفرد :

يتخذ تكرار الصوت المفرد شكلاً بارزاً في سياق الخصومة ، فهو يسير في نسق مقصود ، من ذلك ما جاء في خصومة آزر إبراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً ﴾ [مريم ٤٦] ، فقد أتخذ

---

[١] ينظر : جرس الألفاظ (د. ماهر مهدي هلال) : ٢٣٩ .
[٢] ينظر : الإعجاز الفني في القرآن الكريم (د. عمر السلامي) : ٢٣٠ .
[٣] ينظر : إعجاز القرآن الكريم (د. فضل حسن عباس) : ٢٣٣ .
[٤] ينظر : جرس الألفاظ : ٢٣٩ .
[٥] التفسير البياني للقرآن الكريم (د. عائشة بنت الشاطيء) : ١ / ٧٩ .
[٦] ينظر : لسان العرب (كرر) : ٥ / ٣٨٥١ .
[٧] ينظر المثل السائر: ٣ / ٣ ، وتحرير التحبير (ابن أبي إصبع) : ٣٧٥ ، والبرهان في علوم القرآن :٣ / ١٠.
[٨] ينظر : المثل السائر : ٣ / ٤ .

آزر منحًى مليئاً بالعنف لم تمثلها ألفاظ التهديد (كالرجم) فحسب ، وإنما دلّت عليها وصوّرتها هيمنة صوت الهمزة الذي تكرر خمس مرات في هذا التعبير ، وهو صوت شديد قوي [١] . أحدث اتساقاً مع دلالة الألفاظ وائتلافها ، فقد عبّر عن شدّة رد الأب – آزر – على الابن – إبراهيم – ، والاستفهام الإنكاري في بداية الآية يعضد هذا المعنى ، فضلاً عن إيثار آزر التعبير بنداء إبراهيم بـ(يا إبراهيم) ولم يقابل قوله (يا أبتِ) بـ(يا بني) فكل هذا يعبر عن الفظاظة والغلظة والعناد [٢] .

وجاء التكرار في سياق خصومة أهل النار في قوله تعالى :﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ، قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ﴾ [الصافات٢٨–٣٠] فتبادل التهم واضح في سياق الآيات ، فكل يتهم الآخر وينكر عليه فعله في الدنيا ، من الإتيان عن اليمين – وهو كناية عن القوة والقسر على الغي – [٣] و نفي الإيمان والاتهام بالطغيان ، وتكرار صوت (الكاف) وما يحمله من ثقل في النطق – فهو صوت شديد [٤]– يصور لنا ثقل هذه التهم بين المتخاصمين فقد أفصح كل منهم عن جرمه الشنيع حتى إنهم عرفوا أنه لا جزاء لأفعالهم إلا النّار ، فكان من قولهم :﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ [الصافات٣١] .

ثانياً / التكرار في اللفظ المفرد :

إن تكرار اللفظ في التركيب يشكل إيقاعاً متناسقاً يؤدي معنًى مقصوداً يظهر للمتلقي بعد التأنّي والبحث برويّة ، من ذلك ما جاء في قول هود (عليه السلام) لقومه :﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء ١٣٠] فسياق الآية يحكي عنف هؤلاء القوم وجبروتهم ، وتكرار لفظ (بطشتم) زاد في الدلالة على قسوة هؤلاء الجبارين وظلمهم وتسلطهم بلا

---

[١] ينظر : الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس) : ٨٧ .
[٢] ينظر : خطرات في اللغة القرآنية : ١١٧ – ١١٨ .
[٣] ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣ / ١٠٤ .
[٤] ينظر : الأصوات اللغوية : ٨١ .

رأفة ولا قصد تأديب [١] ؛ لان البطش هو ((العسف قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط)) [٢] ، وقد بدأت اللفظة بصوت الباء المجهور الشديد الانفجاري [٣] ، وأعقبه صوت الطاء الشديد المطبق [٤] ، ثم الشين المتفشي [٥] ، ثم التاء الشديدة [٦] ، فالميم المنطبقة المجهورة [٧] ، فكأن الباء والطاء أوحت بقوّة وشدّة هذا الفعل ، وكأن الشين أوحت بانتشاره واتساعه بين الناس بلا سبب ، وزاد الإيحاء بتكرار هذه اللفظة مرتين .

ومنه كذلك ما جاء في خطاب قوم فرعون له :﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف ٢٧] ، فقد جاء تكرار الفعل (أتذر) و (يذرك) في هذه الآية التي فيها إخبار عن إنكار قوم فرعون وأشرافِهم ورؤسائِهم على فرعون تركَه موسى وقومه ليفسدوا في الأرض [٨] ، فهذا نوع من التسامح – بحسب رأيهم – فجاء هذا التكرار يحمل نوعاً من التحريض ، فقد حرّضوا فرعون على اتخاذ موقف مشدد تجاه موسى وبني إسرئيل [٩] .

ومنه كذلك ما جاء في دعاء موسى (عليه السلام) في خصومة فرعون وقومه له في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس ٨٨] ، فتكرار لفظ (ربنا) ثلاث مرات يوحي بحاجة موسى الشديدة إلى الله عز وجل ؛ اثر الخصومة العنيفة وغير المبررة التي أبداها فرعون وقومه لموسى (عليه السلام) ، فقد اتهموه في هذا السياق بالسحر وأنه جاء ليلفتهم عمّا وجدوا عليه آباءهم ، ولم يكتفوا بذلك بل بادروا بمبارزته بالسحر بعد دعوة السحرة ، ولم يؤمنوا به

---

[١] إرشاد العقل السليم : ٤ / ٢٢٧ .
[٢] مجمع البيان : ٧ / ٣٤٣ .
[٣] ينظر : الأصوات اللغوية : ٤٦ .
[٤] ينظر : المصدر نفسه : ٦٢ .
[٥] ينظر : الخصائص : ٢ / ١٦٣ .
[٦] ينظر : الأصوات اللغوية : ٦١ .
[٧] ينظر : المصدر نفسه : ٤٦ .
[٨] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٤ / ٥١٢ .
[٩] ينظر : الأمثل : ٥ / ٢٦٥ .

حتى بعد أن رأوا هزيمة السحرة وبطلان سحرهم ومن ثَمّ إيمانهم بموسى (عليه السلام) ، فكان التكرار بمثابة تأكيد للدعاء والإستغاثة بالله عز وجل من هذا البلاء العظيم[1].

ثالثاً / التكرار في الجملة :

يلجأ المتكلم إلى تكرار الجملة قصداً لدلالات يريدها ويبغيها من هذا التكرار ، وهذه القصدية تتكيء على نسج كلام المبدع ؛ لأنه الموجه الوحيد لهذا التكرار ، وقد كان لهذا النوع من التكرار حظوة في سياق الخصومة ، من ذلك ما جاء في قوله تعالى :﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل ٦٠] [2] فقد تكررت الجملة (أإله مع الله) المكونة من (همزة الاستفهام والمبتدأ النكرة (إله) والخبر شبه الجملة (مع الله) في خمسة مواضع متتابعة في الآية المذكورة وما بعدها ، فقد جاء هذا التكرار على سبيل الإنعام في معرض المحاجّة – محاجّة المشركين – فذكر خلق السموات والأرض ، وإنزال الماء من السماء ، وإنبات الحدائق والأشجار ، وشق الأنهار ، وخلق الجبال والبحار ، وإجابة الدعاء ، وإرسال الرياح ، وبدء الخلق وإفناءه ثم بعثه من جديد ، وفي هذه المحاجّة يكون السؤال التهكمي : أإله مع الله يفعل مثل هذا ؟! والإجابة بالتأكيد : لا ، ولذا كان تعقيب هذه الجملة بحرف الإضراب (بل) على سبيل التوكيد والتقرير ، ودلالة على كذب دعواهم وفساد ما ذهبوا إليه [3] .

ومنه كذلك ما جاء في قول نوح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء ١٠٧ _ ١١٠] فعبارة (فاتقوا الله وأطيعون) تكررت ثماني

---

[1] ينظر : البحر المحيط: ٥ / ١٨٥ .
[2] وينظر : النمل (٦١ – ٦٥) .
[3] ينظر : البحر المحيط: ٧ / ٨٨ – ٨٩ .

مرات في السورة نفسها ، فقد جاءت على لسان هود (عليه السلام) مرتين [١] ، وعلى لسان صالح (عليه السلام) مرتين [٢] ، وعلى لسان لوط (عليه السلام) مرّة واحدة [٣] ، والتكرار هنا فضلاً عن أنه للتوكيد والتنبيه [٤] ، إلاّ أنه أفصح عن جحود الخصوم وإصرارهم على كفرهم ، وعدم تقبلهم تقوى الله وطاعة الرسول ، مما دعا الرسول إلى دعوتهم للتقوى والطاعة بالجملة نفسها المصدرة بأسلوب الأمر الذي دل على التهديد [٥] .

وبذلك يكون التكرار – بكل أنواعه – قد أضفى على سياق الخصومة نوعاً من التناسب والتناسق ، الذي يستشف المتلقي على إثره دلالات خاصة ربما لا تدرك بدون هذا التكرار .

---

[١] ينظر : الشعراء : ١٢٦ و ١٣١ .
[٢] ينظر : الشعراء : ١٤٤ و ١٥٠ .
[٣] ينظر : الشعراء : ١٦٣ .
[٤] ينظر : الكشاف : ٤ / ٤٠٣ ، وإرشاد العقل السليم : ٤ / ٢٢٥ .
[٥] ينظر : خطاب الأنبياء : ٢١ .

الفاصلة

من العناصر المهّمة للإيقاع الموسيقي في القرآن الكريم فواصل آياته ، والفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر ، أو توافق آخر حروف الروي ، أو الوزن ممّا يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس [١] ، والقرآن الكريم لا يُعنى بالفاصلة من حيث الجانب الموسيقي فحسب بل تأتي الفاصلة مناسبة للمعنى والسياق – وهذا هو الأصل – وتؤدّي تناسباً في الإيقاع [٢] ، وهذا مدرَك عند صاحب الحسّ اللغوي المرهف [٣] .

وتعدّ الفاصلة لوناً من ألوان التناسق والتناسب في السياق القرآني ، فهي تكون منسجمة كل الانسجام مع معاني الآية التي ترد فيها [٤] .

ويمكن تقسيم هذا التناسب في سياق الخصومة إلى :

– تناسب لفظي .

– تناسب معنوي .

أولاً / التناسب اللفظي :

تأخذ الآية في بعض الأحيان شكلاً معيناً إذ تنتهي بلفظة سبقت بلفظ مشابه في الآية نفسها ممّا يشكل تناسباً لفظياً ، وهذا التناسب مقصود لذاته ؛ لأداء معنى دلالي معيّن ، وهذا ما يُلحظ في بعض مواقف الخصومة ، من ذلك ما جاء في معرض قول هود (عليه السلام) في خصومة قومه له :﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف ٧١] ، إن سياق الآية يُبرزُ لنا شكل التحدي والتهديد ، فلو رجعنا إلى الآية التي سبقتها وجدنا فيها معاني التحدي ظاهرة كقولهم :﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ

---

[١] ينظر : الإتقان : ٦٠٩ ، ومن بلاغة القرآن : ٦٤ ، والفاصلة في القرآن الكريم (محمد الحسناوي) : ٢٩ .
[٢] ينظر : التعبير القرآني : ٢٣٦ ، والإعجاز البياني للقرآن (عائشة بنت الشاطيء) : ٢٥٨ ، والبديع في ضوء أساليب القرآن (عبد الفتاح لاشين) : ٢٧٩ ، والتعبير الفني في القرآن : ٢٠٩ .
[٣] ينظر : من جماليات التصوير في القرآن الكريم (محمد قطب عبد العال) : ٢٣٨ .
[٤] ينظر : التعبير الفني : ٢٠٩ .

الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف ٧٠] ، فمن الطبيعي أن يواجه هذا التحدي بالتهديد الحاصل في الأمر (انتظروا) [١] ، وتهديده إيّاهم يثير تساؤلاً في نفوسهم إذا كنّا ننتظر العذاب فماذا يكون حالُك ؟ [٢] فكان إخباره لهم بأنه من المنتظرين قمة التحدّي ، فهو على يقين من ضعف الخصم وقلة حيلته ، كما أنه على يقين من سلطان الحق الذي معه وقوته المستمدّة من سلطان الله [٣] . وقد جاءت عدّة آيات على هذا النسج وبالدلالة نفسها [٤].

ومن التناسب اللفظي الحاصل في فواصل آيات الخصومة ، علاقة صوت اللفظ بالمعنى ، وتعدّ علاقة الصوت بالمعنى مؤثراً سمعّياً وانطباعياً ذا وقع على الوجدان ، فاتحاد المعنى مع الألفاظ يعطي التوحد في التعبير ويبرز الجانب الجمالي الكامن فيه[٥] ؛ لأن الصوت في العربية له إيحاء خاص ، من ذلك ما جاء في خصومة المشركين يوم القيامة في قوله تعالى :﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم ٢١] ، إن الآية تحكي الجدال الحاصل بين الضعفاء التابعين والمستكبرين المتبوعين ، فقد كان الطلب صادراً من الضعفاء على وجه الإنكار والتبكيت [٦] ، في حين كان الجواب حاسماً من الطرف الآخر بأن الجزع والصبر سواء في عدم النجاة في هذا اليوم ، والفاصلة المتمثلة في كلمة (محيص) التي تحمل صوت (الصاد) الذي تواشج مع (السين) في سواء و مع (الزاي) في جزعنا ،

---

[١] ينظر : التحرير والتنوير : ٨ / ٢١٣ .
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ٨ / ٢١٣ .
[٣] ينظر : في ظلال القرآن : ٣ / ١٣١٢ .
[٤] ينظر : سورة يونس : ٢٠ و ١٠٢ ، وسورة هود : ٩٣ .
[٥] ينظر : من جماليات التصوير في القرآن : ١٨٩ .
[٦] ينظر : التحرير والتنوير : ١٣ / ٢١٦ .

فتعاضدت هذه الأصوات ذوات الجرس الرخو المهموس [١] ، لتشكل محور ربط مع العناصر الرئيسة في العبارة ، ففي الفكرة بيان الفتور لدى هؤلاء في الرد على الضعفاء اثر استحواذ اليأس والقنوط عليهم [٢] ، فالأمران متساويان عندهم وهو الجزع والصبر ولا مهرب من العذاب اللازم [٣] * .

ثانياً / التناسب المعنوي :

يتحقق التناسب المعنوي في الفاصلة القرآنية حينما يتعلق معناها بمعنى الآية كلها فتكون ((مستقرّة في قرارها مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة)) [٤] ، وهذا ما تميزت به كثير من الفواصل في آيات وسياق الخصومة ، من ذلك ما جاء في قول إبراهيم (عليه السلام) منكراً على قومه في قوله تعالى :﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ، أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء ٦٦ _٦٧] ، فقد انتهت الآية الثانية بالاستفهام عن التعقل في قوله (أفلا تعقلون) ، ويثار هذا السؤال – غالباً – حينما يشير القرآن إلى اللفتات التي تثير العقول وتنبه الأفهام ، وهذا حال إبراهيم (عليه السلام) مع قومه فقد ((أنكر عليهم ووبَّخهم على ترك الفكر تنبيهاً على أن فساد ما هم عليه يدرك ببديهة العقل)) [٥] ، فهذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ، حتى وصل بها الأمر إلى عدم رد الأذى عن نفسها حينما حطّمها إبراهيم (عليه السلام) ، فجاءت الفاصلة مناسبة لهذا السياق .

ومثله ما جاء في قول موسى (عليه السلام) لفرعون وقومه عند سؤالهم عن رب العالمين : ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء ٢٨] فقد جاء ذكر الفاصلة ((إن كنتم تعقلون)) بعد ذكر المشرق والمغرب ؛ إيذاناً بأنها غاية في الوضوح

---

[١] ينظر : الأصوات اللغوية : ٧٤ـ ٧٥ .
[٢] ينظر : التفسير المنير : ١٣ / ٢٣٦ .
[٣] ينظر : الميزان : ١٢ / ٤٥ .
* وقد لوحظ هذا الفتور في الرد على الضعفاء في هذا النص بالمقارنة مع نصوص أخرى قد وردت في خصومة أهل النار . ينظر : سبأ (٣١ – ٣٣) ، والصافات (٢٧ – ٣٢) ، وص (٥٧ – ٦١) .
[٤] التعبير الفني : ٢١٠ .
[٥] نظم الدرر : ١٢ / ٤٤٣ .

حيث لا يشتبه على من له عقل [١] ، فهما مشهدان معروضان للأنظار كل يوم ومن أوضح الأدلّة على وحدانية الله [٢] ، فالفاصلة غاية في التناسب مع الآية وسياقها .

ومن التناسب الحاصل في سياق الخصومة إيراد صيغة معيّنة تنتهي بها الفاصلة تناسب الآية والمعنى العام للسياق ، من ذلك ما جاء في خصومة المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص ٥] ، فالتعبير القرآني آثر لفظة (عجاب) على الرغم من ورود تعبير مشابه لهذا التعبير في قول المتخاصمين من قريش في سورة ق :﴿ بل عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق٢] فعجاب صيغة مبالغة [٣] ، وقيل إن (فُعال) مبالغة من (فعيل) كطويل وطُوال وكبير وكُبار وعريض وعُراض [٤] ، وبناؤها اللفظي يوحي بضخامة التعجب [٥] ، وقد فرّق الخليل (ت ١٧٠هـ) بين لفظة (عجيب) ولفظة (عجاب) بقوله: ((أما العجيب : فالعجب ، وأما العُجابُ فالذي جاوز حد العجب)) [٦] ، ولو أنعمنا النظر في سياق سورة (ص) التي ورد فيها لفظ (عجاب) ، لالتمسنا التبرير لإيثار هذه اللفظة على غيرها ، فسورة (ص) تكثر فيها الخصومات كخصومة مشركي قريش التي وردت فيها اللفظة [٧] ، وخصومة الرجلين في حضرة نبي الله داود (عليه السلام)[٨] ، وخصومة أهل النار [٩] ، وخصومة إبليس لرب العالمين في نهاية السورة [١٠] ، فقد ناسبت الفاصلة السياق العام للسورة الواردة فيها .

---

[١] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٤ / ٢٠٩ .
[٢] ينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٢٥٩٣ ، والقصة في القرآن الكريم : ١ / ٣٧٣ .
[٣] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٤ / ٥٦٠ ، والبحر المحيط : ٧ / ٣٦٩ ، والمحرر الوجيز : ٧ / ٣٢٤ .
[٤] ينظر : معاني الأبنية : ٩٨ .
[٥] ينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٣٠٠٩ .
[٦] العين : ٣ / ٩٨ .
[٧] ينظر : سورة ص (٤ – ١٠) .
[٨] ينظر : السورة نفسها (٢٢ – ٢٤) .
[٩] ينظر : السورة نفسها (٥٨ – ٦٣) .
[١٠] ينظر : السورة نفسها (٧٥ – ٨٥) .

الالتفات

الالتفات هو أحد المسالك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي شاع استعمالها في لغة القرآن الكريم ، وقد وقف عليه الدارسون قديماً وحديثاً ، ويسمى شجاعة العربية [١] ، ونسبة الشجاعة إلى العربية في هذا النمط من الكلام دليل على قيمته من الناحية الفنية وأثره في الأداء [٢] .

والالتفات في اللغة مأخوذ من الفعل (لَفَتَ) وهو يدل على اللّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة ، ومنه لفتُّ الشيء لويته ، ولفتُّ فلاناً عن رأيه صرفته ، ولَفَتَ وجهه عن القوم صرفه ، والتفتُ التفاتاً والتلَفُت أكثر منه ، وتلَفّت إلى الشيء والتفت إليه : صرف وجهه إليه [٣] .

أما في الاصطلاح فهو التعبير عن المعنى بطريق من الطرق الثلاثة – أعني المتكلم والمخاطب والغيبة – بعد التعبير عنه بطريق آخر منه [٤] . أو هو :((نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر ، تطرية واستدراراً للسامع ، وتجديداً لنشاطه وصيانة لخاطره من المِلال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه)) [٥] ، فهو مأخوذ من (التفات الإنسان عن يمينه وشماله) ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا [٦] ، فالمتكلم في الالتفات ينصرف عن المخاطب إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطب ، وما يشبه ذلك[٧] .

ولا ينحصر الالتفات في الضمائر (التكلم – والغيبة والخطاب) بل يتعداه إلى التنقل بين الصيغ اسمية كانت أو فعليّة ، وقد برز أسلوب الالتفات في مواقف الخصومة وأكثر

---

[١] ينظر : المثل السائر : ٢ / ١٦٨ ، والطراز : ٢ / ٧١ .
[٢] ينظر : بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني : ٢٧٩ .
[٣] ينظر : لسان العرب مادة (لفت) : ٥ / ٤٠٥١ .
[٤] ينظر : أنوار الربيع في أنواع البديع (المدني) : ١ / ٣٦١ ، وبديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري : ٤٤ – ٤٥ .
[٥] البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٣١٤ .
[٦] ينظر : المثل السائر : ٢ / ١٦٧ .
[٧] كتاب البديع (ابن المعتز) : ٥٨ .

الأنواع الواردة منه كانت في الالتفات بين الضمائر ، منه ما جاء في خصومة الرجل المؤمن مع قومه في سورة يس في قوله تعالى :﴿ وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس ٢٢] ، وموضع الالتفات في قوله تعالى (ترجعون) بصيغة الخطاب بعد أن كان بصيغة التكلم في قوله تعالى (أعبد ، وفطرني) ، وقد وقف المفسرون على عدة معانٍ لهذا الالتفات ، فقد ذهب القرطبي (ت٦٧١هـ) إلى أن الفائدة هي الوعيد الذي يقتضي الزجر ، إذ قال :((وهذا احتجاج منه عليهم ، وأضاف الفطرة إلى نفسه ، لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر ، والبعث إليهم لأن ذلك وعيد يقتضي الزجر ، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكراً ، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً)) [١] ، وذهب الزركشي إلى أن الالتفات هنا أفاد التحذير ، قال :((وفائدته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفاً وإعلاماً أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله ، وأيضاً فإن قومه لمّا أنكروا عليه عبادته لله أخرج الكلام معهم بحسب حالهم فاحتج عليهم بأنه يقبح منه انه لا يعبد فاطره ومبدعه ثم حذرهم بقوله :(وإليه ترجعون))) [٢] ، وكان أبو السعود (ت٩٥١هـ) وغيره من المفسرين ذهبوا إلى أن الالتفات هنا أفاد التهديد بل هو عندهم مبالغة في التهديد [٣] ، وعدّه الآلوسي تهديداً وتخويفاً بالرجوع إلى شديد العقاب ، مواجهة وصريحاً بخلاف ما قال وإليه أرجع لكان فيه تهديد بطريق التعريض [٤] .

وورد الالتفات من التكلم إلى الغيبة في سياق الرد على خصومة المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ ٤٦] ، فقد جاء الالتفات من التكلم ﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾ إلى الغيبة

---

[١] الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٨ .
[٢] البرهان في علوم القرآن : ٣ / ٣١٥ .
[٣] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٤ / ٤٩٩ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤ / ٢٦٦ .
[٤] ينظر : روح المعاني : ٢٢ / ٢٣٣ .

(ما بصاحبكم من جنّة) ، وهذا الالتفات مسوق للتنبيه من جهته تعالى ، يدعوهم إلى طريقة للتأمل والتفكر ، بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصّدى لإدعائه إلاّ مجنون لا يبالي بافتضاحه ، أو مؤيّد من عند الله ، مرشح للنبوة ، واثق بحجته وبرهانه [1] ، فهو إحراج كبير للخصم ، لأنها دعوة منطقية ، قد تُبرز جنونه بالفعل ، أو تُظهر عنادهم وتكبرهم وخصومتهم غير المنطقية للنبي (ﷺ) .

وورد الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في سياق الرد على خصومة المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء ٤٢] ، فموضع الالتفات في قوله (هم) بلفظ الغيبة ، بعد أن كان بلفظ الخطاب في قوله (يكلؤكم) ، وفي هذا الالتفات تذكير لهؤلاء الجاحدين ((أن لهم حالاً أخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم ، هي إنهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلاً عن أن يخافوا بأسه وما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ ... وفي تعليق الإعراض بذكره تعالى وإيراد اسم الرب المضاف إلى ضميرهم المنبئ عن كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغيّ مالا يخفى)) [2] ، فهؤلاء الكفار مشغولون عن الله عز وجل بمسائل أخرى كما تبين لنا الآية التالية لها :﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [الأنبياء ٤٣] ، لذا حسن الالتفات في هذا الموضع ؛ كي تتم المقابلة بين أحوالهم .

ومثل هذا النوع من الالتفات جاء في سياق دعوة المعاندين من المشركين في قوله تعالى :﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود ٣] ، فموضع الالتفات من الخطاب (وأن استغفروا) إلى الغيبة في قوله (ويؤت كل ذي فضل فضله) ، فقد جاء بهذا الالتفات لإيقاظ أسماعهم

---

[1] إرشاد العقل السليم : ٤ / ٤٦٥ ــ ٤٦٦ .
[2] المصدر نفسه : ٣ / ٧٠٤ ــ ٧٠٥ ، وينظر : روح المعاني : ١٧ / ٥١ .

وترغيبهم ، لمن استغفر ربه وتاب ، فإنه سيلقى جزاءه في اللحظة التي يبذل فيها الفضل [١] ، فكأن نقل الحديث من الخطاب إلى الغيبة فيه معنى التكريم لأولئك المستغفرين التائبين .

ويأتي الالتفات في مواقف الخصومة ليشكل بؤرة التحدي ، كما تحدّى القرآن مشركي قريش في قوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود ١٣] ، فالالتفات الحاصل من الغيبة في جملة (أم يقولون افتراه) إلى الخطاب في جملة (فأتوا بعشر سور) أبان عن نوع من التحدّي لمشركي مكة المكذبين بهذا القرآن ، طالباً منهم كلاماً يضاهي هذا الكلام في سمو بيانه وبلاغته [٢] ، وإظهاراً كاملاً لعجزهم في هذا التحدي بعد أن التزموا الصمت ولم يستجيبوا لهذا الطلب .

ومثله ما جاء في الرد على النصارى في شبهتهم الباطلة بأن لله ولداً في قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس ٦٨] ، فالانتقال من الغيبة في جملة (قالوا اتخذ الله ولدا) إلى الخطاب في قوله (عندكم من سلطان) للتحدي و ((لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام)) [٣] ؛ لأن السلطان هو البرهان والحجة الذي يكسب المستدل به سلطة على مخالفه ومجادله [٤] ، ولا يملك هنا الخصم مثل هذه الحجة والبرهان بل هي مجرد مزاعم وشبهات لا ترقى إلى الحقيقة .

ويدخل الالتفات في عملية التحرك الزمني من خلال التنقل بين الأفعال ، وذلك في إحلال الأفعال من الماضي والمضارع والأمر محل بعضها [٥] ، من ذلك الرجوع عن الفعل المضارع إلى الفعل الأمر ، فقد جاء على لسان هود (عليه السلام) بعد أن كذّبه قومه

---

[١] ينظر : في ظلال القرآن : ٤ / ١٨٥٥ .
[٢] ينظر : فتح القدير : ٢ / ٤٨٦ .
[٣] إرشاد العقل السليم : ٢ / ٦٨٩ .
[٤] ينظر : التحرير والتنوير : ١١ / ٢٣٢ .
[٥] ينظر : جدلية الإفراد والتركيب (د. محمد عبد المطلب) : ١٨٩ .

وخاصموه في دعوته فردّ قائلاً :﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود ٥٤] ، فجاء الالتفات في رده من الفعل المضارع (أشهد) إلى الفعل الأمر (اشهدوا) ولم يقل (اشهد الله وأُشهدكم) ؛ لأن إشهاد الله على براءته من الشرك صحيح ثابت أما إشهادهم فعلى سبيل الاستهانة بهم وقلّة المبالاة لأمرهم [١] ، فضلاً عن إثبات براءته من عبادة الأصنام وسقوطهم فيها ، فالتفت من المضارع إلى الأمر ليقول :((وأشهدكم ، لا أنهم كانوا أهل الشهادة ، ولكنّه نهاية للتقرير ، أي لتعرفوا (أني برئ مما) ، أي من عبادة الأصنام التي تعبدونها)) [٢] ، وليعلموا بهذا الالتفات ويشاهدوا حقيقة ((سكوت آلهتهم وعجز أنفسهم من الانتقام منه ومن تنكليله)) [٣] .

وقد يرد الالتفات في تبادل الأدوار بين صيغ الأسماء ، أو بين الاسم الظاهر والضمير ، فقد جاء الالتفات بين صيغ الاسم في رد نوح (عليه السلام) على قومه بعد اتهامهم له في قوله تعالى :﴿ قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف ٦٠ – ٦١] ، فقد أوردوا التهمة بصيغة المصدر (ضلال) ، فعدل عن الرد باللفظة نفسها إلى لفظة (ضلالة) التي تعني مرّة واحدة من الضلال [٤] ، والمعنى إذا اختص بخصلة واحدة صار محدوداً ولزمته تاء التأنيث ؛ لأنها تدل على نهاية ما دخلت عليه [٥] ، فكأنها شابهت اسم المرّة الذي يدل على الفعلة الواحدة [٦] ، وصار لهذا العدول معنى مختلف ؛ لأن كل عدول عن صيغة إلى أخرى لابد أن يصحبه عدول في المعنى [٧] ، وهذا العدول هو الذي مثّل

---

[١] ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٠٩ .
[٢] الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٤٩ .
[٣] الميزان في تفسير القرآن : ١٠ / ٣٠١ .
[٤] ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٢٤ ، ونظم الدرر : ٧ / ٤٢٩ .
[٥] ينظر : بدائع الفوائد : ٢ / ٢٨٧ .
[٦] ينظر : شذا العرف (احمد الحملاوي) : ٥٧ ، والمهذب في علم التصريف (هاشم شلاش وآخرون) : ٣٠٢ ، وأبنية الصرف في كتاب سيبويه (د. خديجة الحديثي) : ٢٢٤ .
[٧] معاني الأبنية في العربية : ٧ .

الالتفات الذي جاء للمبالغة ؛ لأن نفي الأقل أبلغ من نفي الأكثر [١] فكأنه أراد بهذا الالتفات أن يبيّن أنّ ليس له أيّة صلة بالضلال لا من قريب ولا من بعيد .

وورد الالتفات من الضمير إلى الاسم الظاهر ، في سياق خصومة المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص ٤] ، فقد وضع الظاهر في قوله (وقال الكافرون) موضع المضمر (وقالوا) ؛ لأن في هذا الالتفات مزية خاصّة ، فقد أراد الله تعالى أن يصفهم بما هو شتم لهم ، فجمع ضروباً من الشتم تأصيلاً وتفريعاً وهو الكفر الذي هو جماع فساد التفكير وفاسد الأعمال ؛ لأنهم وصفوا النبي (ﷺ) بالساحر [٢] ، والساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو إلى طاعة الشيطان والنبي (ﷺ) بالعكس من ذلك [٣] .

يتبين من كل ما سبق أن الالتفات قد أعطى التراكيب – في سياق الخصومة وتجادل المتخاصمين – شكلاً مختلفاً عن التراكيب المعتادة ، مراعياً سياق الكلام وظروف المتخاصمين وأحوالهم النفسيّة ؛ لإحداث التأثير المطلوب .

---

[١] ينظر : الكشاف : ٢ / ٤٥٤ ، والتفسير الكبير : ١٤ / ١٥٧ ، والمثل السائر : ٢ / ٢٠٥ .
[٢] ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣ / ٢٠٩ .
[٣] ينظر : التفسير الكبير : ٢٦ / ١٧٧ .

المبحث الثاني

(دلالة الخطاب)

أولاً / الحجة العقلية

ثانياً / السخرية والاستهزاء

ثالثاً / الترغيب

رابعاً / التهديد والوعيد

المبحث الثاني

دلالة الخطاب

اشتمل الخطاب القرآني في سياق الخصومة على وسائل عديدة ، هي بمثابة مرتكزات استعملت في الحوار مع الخصم ؛ لتبكيته وردعه تارة أو لجذبه وتحفيزه تارة أخرى ، وهذه الوسائل هي :

- الحجة العقلية .
- السخرية والاستهزاء .
- الترغيب .
- التهديد والوعيد .

وسيتعرض البحث لكل وسيلة على حدة في هذا المبحث .

﴿ وسائل الخطاب ﴾

أولاً / الحجة العقلية :

إن فكرة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم بشكل عام وفي سياق الخصومة بشكل خاص وسيلة من وسائل الخطاب ، تهدف بالدرجة الأولى إلى إقناع المتلقي ، فضلاً عن إلزام الخصم بالحجة .

ومعنى الحجة في اللغة ((الدليل والبرهان)) [١] ، وسميت الحجة ؛ لأنها تُحَجُّ أي:((تقصد)) [٢] ، قال ابن فارس :((ممكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا ؛ لأنها تقصد أو بها يقصد الحق المطلوب)) [٣] ، والحجة تعني الدليل وهما بمعنى واحد [٤] .

والاحتجاج منطق عقلي مادته التفكير ومحاكاة العقل ، والتفكير :((هو الوسيلة الأساس لفحص الحقائق والمبادئ والمعتقدات والتأكد من صلاحيتها)) [٥] ، وعن طريق عمليات التفكير والاستدلال العقلي يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة بعض الحقائق حول آيات الله وسننه الكونية [٦] ، قيل :((ليست الصورة الإنسان وإنما الإنسان العقل)) [٧] ، فالعقل طريق الحقيقة ، فما خلق الله العقل :((إلا ليشهد بالحق للمحق والباطل للمبطل)) [٨] فهو ((زمام على الأعضاء ، وعيار على الحواس ، له الحكم القاطع والاستبانة الصحيحة)) [٩] ، والاستدلال يحتاج لإعمال العقل لالتماس حجة أو حيلة ، يتحقق لها الإقناع ؛ لأن الحجة لا تفيد من حيث هي أصوات مسموعة شيئاً ، بل المفيد هي المعاني العقلية الحاصلة في الذهن [١٠] .

---

[١] لسان العرب (حجج) : ٢ / ٧٧٩ .
[٢] المصدر نفسه : ٢ / ٧٧٩ .
[٣] معجم مقاييس اللغة (حجج) : ٢ / ٣٠ .
[٤] ينظر : التعريفات : ١١٢ ، والكافية في الجدل (للجويني إمام الحرم) : ٤٨ .
[٥] علم النفس الإسلامي (معروف زريق) : ٩٢ .
[٦] ينظر : مدخل إلى علم النفس الإسلامي (د. محمد عثمان نجاتي) : ١٠١ .
[٧] الآداب (ابن المعتز) : ١٢٤ .
[٨] عيون الأخبار (ابن قتيبة الدينوي) : ١ / ٩١ .
[٩] النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ (فيكتور شلحت اليسوعي) : ٩٧ .
[١٠] ينظر : نهاية الإيجاز (فخر الدين الرازي) : ١٨٩ .

وقد سمّى الزركشي هذا النوع من الاحتجاج : إلزام الخصم بالحجة وعرفه بقوله:((هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه)) [١] .

واشتهر استعمال هذه الوسيلة عند الأنبياء في دعواتهم ، إذ إن تبليغ الرسالة يتطلب مقدرة خاصة على المحاجّة والمجادلة ، ويجد القارئ للقرآن الكريم أن كل رسول يجادل قومه ويلزمهم الحجة [٢] .

إن من أهم القضايا التي واجه فيها الأنبياء أقوامهم ولاقوا خصومة شديدة ، قضية إثبات الذات الإلهية والذود عن وحدانية الله تعالى ، فقد احتج الأنبياء بالحجج العقلية لإثبات هذا ، وقد أثيرت هذه الحجج في دعوة النبي (ﷺ) بتوجيه قرآني إلى النبي (ﷺ) أن يقول قولاً معيناً بنص آية من القرآن ، وأكثر ما يكون ذلك للرد على قول قاله الكافرون ، أو على موقف غير منطقي من مواقفهم يتسم بالزيغ والضلال ، وتميز إبراهيم (عليه السلام) من الأنبياء في الارتكاز على هذه الوسيلة في أكثر من موقف عند مواجهته لقومه .

فمن مواقف إبراهيم (عليه السلام) التي تتجلى فيها الحجة العقلية ، ما جاء في خصومته للنمرود في قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة ٢٥٨] ، والحجة العقلية قائمة في قول إبراهيم (عليه السلام) :(فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) وقد اعتمد إبراهيم (عليه السلام) هذه الحجة نظراً لوضوحها ، فهي حقيقة كونية متكررة ، تطالع الأنظار والمدارك كل يوم ، ولا تتخلف مرة ولا تتأخر [٣] ، فضلاً عن قصده قطع حجة المخاصم وإسكاته [٤] ، إذ لم يُجب عن فكرة إبراهيم بإحياء الموتى ، بل اشتغل بالجواب عن ذات نفسه إذ قال ، أنا أحيي وأميت ، فكانت هذه الحجة إفحاماً للنمرود ((إذ ما كان يسعه أن يقول : إن هذا

---

[١] البرهان : ٣ / ٤٦٨ .
[٢] ينظر : دراسات في علم النفس الأدبي (د. حامد عبد القادر) : ١٩٢ .
[٣] في ظلال القرآن : ١ / ٢٩٨ ، وينظر : خطاب الأنبياء : ٥٥ .
[٤] ينظر : زاد المسير (ابن القيم) : ١٥٨ .

الأمر المستمر الجاري على وتيرة واحدة وهو طلوعها من المشرق دائماً أمر اتفاقي لا يحتاج إلى سبب ، ولا كان يسعه أن يقول: إنه فعل مستند إليها غير مستند إلى الله فقد كان يُسلِّم خلاف ذلك ، ولا كان يسعه أن يقول : إنّي أنا الذي آتيها من المشرق وإلا فطولب بإتيانها من المغرب)) [1] ؛ لذلك فقد بُهت كما ورد في سياق الآية ، والبهت : هو الحيرة والدهشة عند استيلاء الحجة [2] .

وتتجدد الفِكَر العقلية عند إبراهيم (عليه السلام) في مواجهة قومه كما في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام ٧٦ – ٧٨] ، وحجة إبراهيم (عليه السلام) هنا في عرض حاله مع الكوكب والقمر والشمس ، على سبيل الفرض والتقدير والمجاراة لأبيه وقومه في مناظرته لهم ؛ كي يمهد بذلك لإبطال مزاعمهم في هذه الكواكب [3] ، فقد كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب ، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم ، وأن يرشدهم إلى الطريق الحق بالنظر والاستدلال [4] ، والمتمعّن في هذه الحجج العقلية يدرك مدى رصانتها فضلاً عن براعة إبراهيم (عليه السلام) في طرحها ، فالوقفة الأولى في قوله تعالى :(فلما رأى كوكباً ...) إثبات منه أن هذا الكوكب غير ثابت الوجود بل هو متغيّر ومتنقل ، والرب الحقيقي لابد أن يكون ثابت الوجود ، فلا يصلح إذن أن يعبد من دون الله ، ثم انتقل إلى الوقفة الثانية في قوله تعالى :(فلمّا رأى القمر بازغاً ...) وبدوره القمر آيل إلى الأفول والرب سبحانه ليس بآفل ، فالقمر ليس جديراً بالربوبية [5] ، أما الوقفة الثالثة فقد نظر إبراهيم إلى الشمس وتأملها ((مفترضاً ربوبيتها بل أحقيتها بالربوبية من الكواكب والقمر ؛ لأنها أكبر

---

[1] الميزان : ٢ / ٣٥١ .
[2] ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢ / ٣١٨ ، والمفردات : ٨٠ .
[3] ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢ / ٢٣٦ ، والمنار : ٧ / ٤٦٤ .
[4] ينظر : الكشاف : ٢ / ٣٦٦ .
[5] ينظر : الإرشادات والتنبيهات (محمد بن علي الجرجاني) : ٢٨٠ – ٢٨١ ، والإيضاح : ٢٧٧ .

جرماً وأقوى ضوءاً وأعظم نفعاً ، ولكنها تأفل كما أفل الكوكب والقمر ، فلا يمكن أن تكون رباً)) [١] ، فقد أدرك إبراهيم (عليه السلام) نقص الكواكب وعيبها ؛ لأن الأفول تغيّر ، والتغيّر حدوث ، والكامل لا يجوز عليه الحدوث ؛ لأنه صانع الحدوث [٢] ، هذا إذا اعتقدوه رباً قديماً وآلها أزلياً ، ولو اعتقدوه واسطة وقربة ووسيلة فإن الأفول والزوال يخرجه أيضاً عن حد الكمال [٣] ، فقد اثبت إبراهيم (عليه السلام) بهذه الحجة العقلية صفات العجز لآلهتهم ، وأثبت الكمال المطلق لله رب العالمين ، فاستحق أن يعبد وحده من دون شريك .

ولم تقف حجج إبراهيم (عليه السلام) العقلية عند هذا الحد بل تعدته إلى مواقف أخرى لا مجال لذكرها كلّها [٤] .

ومن الحجج العقلية ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون في دعوة موسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر ٢٨] ، فقد أخذهم بالاحتجاج على جهة الاستدراج ، فهو إما كاذب فوبال كذبه عائد عليه ، وإما صادق فيصيبكم بعض ما يعدكم به ، وقدّم الكذب على الصدق ، هضماً لبعض حقه في ظاهر الكلام فكأنه قال : إني قد هضمته بعض حقه ، وحجتي ظاهرة عليكم ، فكيف لو استوفيت له حقه في جدالكم [٥] ، و((أتى بأن للشرط ، وهي موضوعة للأمور المشكوك فيها ؛ ليدل على أنه غير مقطوع بما يقوله على جهة الفرض ، وإذعاناً للخصم على التقدير ؛ لإرادة هضمه لحقه ، وأنه غير معط له ما يستحق من التعظيم)) [٦] ، وهذه الحجة كافية – لو

---

[١] خصائص النظم في قصة إبراهيم : ٢١٥ .
[٢] ينظر: استخراج الجدل من القرآن الكريم (ابن رجب الحنبلي) : ٧ ، ومناهج الجدل في القرآن الكريم (د. زاهد الألمعي) : ١٨٢ .
[٣] ينظر : الملل والنِحل (للشهرستاني) : ٢ / ٣٦٤ .
[٤] ينظر : سور (مريم ٤١- ٤٥) ، و (الأنبياء ٥٩ – ٦٧) ، و (الشعراء ٧٠ – ٧٥) .
[٥] ينظر : الإكسير في علم التفسير (للطوفي الصرصري) : ٣١٢ .
[٦] الطراز : ٢ / ١٤٩ .

انطلق منها فرعون وحاشيته – للوصول إلى الحق ، لكن ذلك لا ينفع إذ تمكنت الشهوة من عقله فأذهبت تفكيره [١] .

ومن الحجج التي جاء بها القرآن الكريم في خصومة قريش ، قضية نفي تعدد الآلهة كقوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء ٢٢] [٢] ، وهذه حجة عقلية واضحة ، بل هي ((أبلغ ما يكون في الحجاج)) [٣] ، وتقدير هذه الحجة أنه لو فرض للعالم آلهة متعددة لكانوا مختلفين ذاتاً متباينين حقيقةً ، وتباين حقيقتهم يقتضي تباين تدبيرهم فتختلف التدبيرات وتفسد السماء والأرض [٤] ، وانسجام القوانين وأنظمة الخلق تحكي أنها تُدار من إرادة واحدة ؛ لأنه لو تعددت البدايات واختلفت الإرادات لانعدم هذا الانسجام وبان الفساد [٥] ، فانتفاء الفساد ، دليل على انتفاء آلهة غير الله [٦] .

ومن الاحتجاج العقلي عند الكفار ما أثاروه حول شخص النبي (ﷺ) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ﴾ [الفرقان ٧] ، ووجه الحجة في هذا القول أنهم يرون أن البشر لا يسوغ له الاتصال بالغيب ، وهو متعلق الوجود بالمادّة منغمر في ظلماتها ومتلوث بقذارتها [٧] ، فقد أرادوا بهذه الحجة أن يبطلوا كونه رسولاً باعتبار أنه بشر ، وحجتهم هذه فاسدة ومردودة ، وفيها دلالة على فساد تفكيرهم ، قال الآلوسي :((وليس هذا إلاّ لعمههم ، وركاكة عقولهم وقصور أبصارهم على المحسوسات ، فإن تميّز الرسل (عليهم السلام) عمّا عداهم ليس بأمور جسمانية ، وإنما هو بأمور نفسانية أعني ما جبلهم الله تعالى عليه

---

[١] ينظر : من هدى القرآن (للمدرسي) : ١٢ / ٦٢ .
[٢] وينظر : سور (يونس ١٦) ، و (المؤمنون ٩١) .
[٣] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١٠٩ ، وينظر : إعجاز القرآن (الباقلاني) : ٤٢٨ .
[٤] ينظر : الميزان : ١٤ / ٢٦٧ ، وينظر : الكشاف : ٤ / ١٣٦ ، والتحرير والتنوير : ١٦ / ٣٩ – ٤٠ ، وفي ظلال القرآن : ٤ / ٢٣٧٣ .
[٥] ينظر : الأمثل : ١٠ / ١٤٤ .
[٦] ينظر : جوهر الكنز (ابن أثير الحلبي) : ٣٠٣ .
[٧] ينظر : الميزان : ١٥ / ١٨٤ .

من الكمال)) [1] ، فضلاً عن ذلك لو أن الرسل كانوا من غير البشر – كما يدعون – لا يأكلون الطعام ، ولا يمشون في الأسواق ، ولا تختلج في صدورهم عواطف البشر وانفعالاتهم لما كانت هناك وشيجة بينهم وبين الناس ؛ لأنهم لا يحسون دوافع البشر التي تحركهم من جهة ، ولا البشر يتأسون بهم ويقتدون من جهة أخرى [2] ، فضلاً عن أن محمداً (ﷺ) رسول قد خلت من قبله الرسل ، وقد علموا أن الرسل قبله كانوا بشراً بحكم اتصالهم بأصحاب الديانات الأخرى ، وقد ردّ عليهم القرآن الكريم هذه الحجة بقوله في الآيات اللاحقة :﴿ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان ٢٠] ، وبهذا نرى الفرق بين احتجاج الرسل – وهو احتجاج عقلي واضح يجعل من الخصومة حواراً منطقياً يهدي إلى نتائج واضحة ، يؤمن بها من كان على بصيرة واعتدال ، ويجحد بها من أعمى الله بصيرته فبات في بعد عن طريق الهدى والرشاد – ، وبين احتجاج الأقوام المكذبة الذي لا يثار إلا لأجل اللجاجة والتكذيب .

---

[1] روح المعاني : ١٨ / ٢٣٧ .
[2] ينظر : في ظلال القرآن : ٥ / ٢٥٥٣ ، والأمثل : ١١ / ٢٠٤ .

ثانياً / السخرية والاستهزاء :

تعد السخرية والاستهزاء من الوسائل البارزة في الخصومة القرآنية ، فقد يستعملها الخصم سلاحاً للتأثير في نفسية خصمه وإضعافها .

والسخرية والاستهزاء بمعنى واحد ، فقد فُسّر الاستهزاء بالسخرية ، وفسرت السخرية بالاستهزاء [١] ، وإن كان بينهما فرق فهو بسيط جداً ؛ لأن في السخرية معنى طلب الذلّة ، فالتسخير في الأصل التذليل ، أما الهُزء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول [٢] ، وهذا يعني أن الاستهزاء يفرق عن السخرية بأنه يظهر في القول فقط ، أما السخرية فتظهر بالقول وغيره من الإشارة والفعل ، هذا وإن كثيراً من العلماء لم يفرق بينهما هذا الفرق بل تحدث عنهما باعتبارهما يعطيان معنًى واحداً ، قال العلامة الطباطبائي : ((السخرية الاستهزاء وهو ذكر ما يستحقر ويستهان به الإنسان بقول أو إشارة أو فعل)) [٣] .

والسخرية :((إظهار خلاف الباطن على جهة يفهم منها استضعاف العقل)) [٤] وهي أسلوب واضح من أساليب النقد ومواجهة عوامل السخط والإثارة [٥] ، والحدّة في السخرية ((تتناسب مع درجة السخط في نفس الساخر ، فكلما كان أشد سخطاً كانت صياغته أشد إيلاماً)) [٦] .

والسخرية قد تكون ترويحاً عن النفس أو تسرية عن القلب ، فضلاً عن أنها تكون استنكاراً لما يقع أو هُزءاً وتندراً بالخصم [٧] ، وهي وسيلة فعّالة ؛ لأن الاستهزاء يعمل

---

[١] ينظر : الكشاف : ١ / ١٨٤ ، والتحرير والتنوير : ١ / ١٢٧ و ٦ / ٣٤٦ ، ولسان العرب (سخر) : ٣ / ١٩٦٣ و (هزؤ) : ٦ / ٤٦٥٩ .
[٢] ينظر : الفروق اللغوية : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
[٣] الميزان : ١٨ / ١٧٠ ، وينظر : إحياء علوم الدين : ٣ / ٩٠ .
[٤] التبيان في تفسير القرآن : ٥ / ٤٧٦ .
[٥] ينظر : التصوير الساخر في القرآن الكريم (د. عبد الحليم حفني) : ٣٠ .
[٦] المصدر نفسه : ٢٧ .
[٧] ينظر : السخرية في أدب الجاحظ (عبد الحليم محمد حسين) : ٦٤ .

على الاستهانة بالأقدار والكرامات ، ويجرح شعور المستهان به ويؤذيه [١] . وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من سخرية المشركين بالنبي (ﷺ) وما جاء به من ربه ، من ذلك مثلاً قوله تعالى :﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [الصافات ١٤] ، والاستسخار هو المبالغة في السخرية [٢] ، وقد طالت السخرية الأنبياء (عليهم السلام) كما اخبر القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴾ [الأنبياء ٤١] .

فمن سخرية القرآن بخصومه الذين يدعون آلهة من دون الله ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج ٧٣] ، فالقرآن يصور خصومه بالضعف المزري متدرجاً في هذا التصوير بما يثير في النفس السخرية اللاذعة والاحتقار المهين [٣] ، فالصورة الأولى تتضمن كأن الآلهة اجتمعوا ليحاولوا عمل شيءٍ يدل على أنهم آلهة وهو الخلق فعمدوا إلى أهون المخلوقات المعروفة في حياة الناس وأحقرها وهي الذبابة ، غلى الرغم من تعاونهم جميعاً وتآزرهم على خلقها فلم يستطيعوا ، والصورة الثانية كأن الآلهة كانوا مجتمعين ، وكان أمامهم شيء يأكلونه مثلاً ، فجاء الذباب أو ذبابة فاختطفت هذا الشيء ، فحاول الآلهة مجتمعين أن يأمروها بإرجاع هذا الشيء فلم يستطيعوا ، وحاولوا مجتمعين أن يطاردوها كما يفعل الإنسان العادي في محاولة استعادة ما يُختطف منه فلم يستطيعوا ، فالذبابة ضعيفة ، ولكن آلهتهم أضعف منها حيث غلبتهم الذبابة على أمرهم سواء في خلقها أو في مسلكها [٤] ، والسخرية واضحة في الصورتين ، فقد عمد القران إلى الموازنة بين الآلهة والذباب وهي سخرية بالغة بالآلهة ، ثم عجز الآلهة وليس إلهاً واحداً عن خلق أهون شيء وأحقره في أعين الناس وهو الذبابة ، ثم

---

[١] ينظر : السخرية في أدب الجاحظ : ٦٥ .
[٢] ينظر : الكشاف : ٥ / ٢٠٤ .
[٣] ينظر : التصوير الفني في القرآن : ٢٤٣ .
[٤] ينظر : التصوير الساخر : ١١١ .

منظر الآلهة مع منزلتهم عند عابديهم وهم مجتمعون ليطاردوا ذباباً ويسابقوه ، ليحاولوا استنقاذ شيء قد سلبه منهم [١] ، وهذه السخرية ليست بالآلهة فقط وإنما بعقل من يعبد تلك الآلهة .

ومن سخرية القرآن بالمشركين ما جاء في قوله تعالى :﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان ٤٤] [٢] ، ووجه السخرية في قوله (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) ، فهم أسوء حالاً من الأنعام السارحة ، فإنها تعقل ما خلقت له ، ولا تقتحم على ما يضرها وهؤلاء يرجحون ما يضرهم على ما ينفعهم [٣] ، فضلاً عن أن الأنعام لا تفهم شيئاً ؛ لعدم استعدادها الذاتي ، أما هؤلاء الذين تكمن في وجودهم الأسماع والأبصار فلم يستفيدوا منها شيئاً ، فالمثير للسخرية أن تكون الحاسّة موجودة ولكنها لا تؤدي وظيفتها ، والأغرب أن يكون هذا ليس في حاسّة واحدة وإنما في عدة حواس [٤] ، ودقة التعبير القرآني في هذا الشأن يبرز مسؤوليتهم وجريمتهم في حق أنفسهم ، فالتعبير يوضح أن لهم عقولاً عطلوها ولم يفكروا بها ، وأبصاراً تدرك المشاهد الكونية وآيات الله لكنهم لم يستخدموها ، وأعطاهم آذاناً تنصت وتتأمل وتتيح للعقل أن يفكر ويقدر ولكنهم أصموها [٥] .

وقد استعملت الأقوام الكافرة السخرية في تكذيبهم لأنبيائهم ، وكانت دوافعهم الحقد والعناد والتشبث بالباطل والعمل على تشويه صورة الرسول ؛ حتى لا تنتشر دعوته ولا يقبل عليه الناس ، وحتى يشغلوه بأمر نفسه عن أمور دعوته [٦] ، من ذلك ما جاء في خصومة قوم شعيب (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود ٨٧] ،

---

[١] ينظر : التصوير الساخر : ١١١ .
[٢] وينظر : سور (الحج ١٥ ، ٣١) و (العنكبوت ٤١) .
[٣] ينظر : ابن كثير : ٦ / ١١٣ ، والميزان : ١٥ / ٢٢٤ .
[٤] ينظر : التصوير الساخر : ٧٩ .
[٥] ينظر : المصدر نفسه : ٨٠ .
[٦] ينظر : السخرية في أدب المازني (د. حامد عبده الهوّال) : ٩ .

والآية مصدرة بالاستفهام الذي خرج للتهكم والسخرية [١] ، والجملة المذيّلة بقولهم (إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) ، أرادوا بها التهكم والسخرية وقد قرر ذلك أكثر المفسرين [٢] ، قال البيضاوي (ت ٦٩١هـ) :((تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك)) [٣] ، فقد أخرجوه على جهة استحقاقه المدح بهاتين الصفتين مع كونه أهلاً لهما ، ولا يريدون بهاتين الصفتين حقيقة معنييهما وأنه أصاب وجه الأمر ، وكأنما أطمعهم حلمه ولين معاملته في الجزاء على السيئة بالأناة في التعريض به تهكماً سفيهاً وتمرداً واستكباراً وغرضهم وصفه بالسفه والجهل [٤] .

ومن السخرية ما جاء في خصومة المشركين للنبي (ﷺ) في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً ﴾ [الفرقان ٦٠][٥] ، والآية تحكي استهزاء المشركين بأمر النبي (ﷺ) لهم بالسجود ، فقولهم (وما الرحمن) يمثل جانب السخرية والاستخفاف فهذا السؤال :((يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به ؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ... ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه ؛ لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى)) [٦] ، فحينما ذُكرت ((الصفة المقتضية للمبالغة في الرحمة والكلمة عربية لا يُنكر وضعها أظهروا التجاهل بهذه الصفة التي لله مغالطة ووقاحة)) [٧] ، والسؤال بـ(ما) التي هي لغير العاقل ((مبالغة منهم في التجاهل به استكباراً منهم على الله ولولا ذلك

---

[١] ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٥ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٥٣ .
[٢] ينظر : الكشاف : ٣ / ٢٢٦ ، ومجمع البيان : ٥ / ٣٢٢ ، وإرشاد العقل السليم : ٣ / ٨١ ، وغيرهم .
[٣] أنوار التنزيل : ٣ / ١٤٥ .
[٤] ينظر : المفارقة القرآنية (د. محمد العبد) : ١٠٥ .
[٥] ينظر : سور (المؤمنون ٨١ – ٨٣) و (الفرقان ٤١) و (سبأ ٧ – ٨) .
[٦] ينظر : الكشاف : ٤ / ٣٦٥ .
[٧] البحر المحيط : ٦ / ٤٦٦ .

لقالوا : ومن الرحمن)) [١] ، ثم التعبير عن طلبه منهم السجود في قولهم :(أنسجد لما تأمرنا) ، فيه زيادة من التهكم والاستهزاء [٢] .

[١] الميزان : ١٥ / ٢٣٤ .
[٢] ينظر : المصدر نفسه : ١٥ / ٢٣٤ .

ثالثاً / الترغيب :

يعد الترغيب من الأساليب المتبعة في القرآن الكريم ، ولا سيما في مجال الدعوة إلى ما أنزل الله سبحانه على أنبيائه ، ويبرز وسيلة مهمة من وسائل الخطاب في خصومات الأنبياء مع أقوامهم ، فالترغيب أبرز دافع للإيمان بالله عز وجل ؛ لأن النفس لا ترغب إلاّ فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها [١] .

والترغيب في اللغة من : رغِبَ في الشيء ، يَرغَبُ رَغْباً ورُغباً بفتح الراء وضمها ورَغْباً ورغَباً بسكون العين وفتحها ، ورغبة ورغبى على قياس شكوى [٢] ، وأرغبني في الشيء ورغّبني فيه بمعنى واحد ، ورغّبه : أعطاه ما رغبَ فيه أي : ما أراد [٣] .

والمراد بالترغيب في الاصطلاح :((كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)) [٤] ، أو هو وعد يصحبه تحبيب وإغراء بلذة أو متعة آجلة مؤكدة ، مقابل القيام بعمل صالح ، أو الانتهاء عن عمل طالح ابتغاء مرضاة الله ، وذلك من رحمته – سبحانه – لعباده [٥] ، والجدير بالذكر أن أغلب الترغيبات الواردة على لسان الأنبياء (عليهم السلام) لأقوامهم هي في التذكير بما يمن الله عليهم بالدنيا ، ولعل مرد ذلك أن رؤية عقولهم لا تمتد إلى ما بعد الحياة التي يحيونها [٦] .

من ذلك ما جاء في ترغيب نوح (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى :﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾ [نوح ١٠ – ١٢] ، فنوح (عليه السلام) يرغّب قومه ويعدهم بتوافر النعم وتواترها عليهم من هطول الأمطار المفيدة ، وكثرة الأموال والأولاد ، والحدائق المباركة

---

[١] ينظر : موسوعة نَضِرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم (مجموعة من المؤلفين) : ٦ / ٢١٢٧ .
[٢] ينظر : العين (رغب) : ٢ / ١٣٣ ، والمحيط في اللغة (الصاحب بن عباد) (رغب) : ٥ / ٧٥ ، ولسان العرب (رغب) : ٣ / ١٦٧٨ .
[٣] ينظر : البارع في اللغة (أبو علي القالي) (رغب) : ٣١٥ ، والقاموس المحيط (رغب) : ١ / ٧٤ .
[٤] أصول الدعوة (عبد الكريم زيدان) : ٦٧٠ ، وينظر : أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني : (د. عمر محمد باحاذق) : ١٢٨.
[٥] ينظر : الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (احمد علوش) : ٢٥٧ ، وأساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية (د. زياد العاني) : ١٨١ .
[٦] ينظر : الأساليب القرآنية في عرض العقيدة الإسلامية (د. صالح خليل الطائي) : ٢٤٠ .

والأنهار الجارية [١] ، ومثله ما جاء في ترغيب هود (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى : ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود ٥٢] ، فالعرض مغرٍ بالنسبة إليهم بإرسال السماء عليهم مدراراً ، والمجاز المرسل في هذا السياق يتكفل بهذا الأمر ((حيث أطلق السماء على المطر مجازاً مرسلاً ؛ لأن المطر ينزل من السماء وفي جعل السماء نفسها مطراً كثير الدَّر مبالغة في إثارة عواطف الرغبة فيهم بعد أن حُبس عنهم المطر زمناً طويلاً ، وعانوا من القحط والجدب شدّة حتى أوشكوا على الهلاك ، فأمرهم نبي الله هود (عليه السلام) بالاستغفار ووعدهم على ذلك بنزول المطر الغزير الذي ينفع العباد والبلاد)) [٢] .

وقد يرغّب النبيّ قومه باستعراض النعم التي خصهم اللهُ سبحانه بها من ذلك ما جاء على لسان هود (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف ٦٩] ، ومثله قول صالح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف ٧٤] [٣] ، وفي التذكير بنعم الله المتمثلة في الاستخلاف ((أسلوب من أساليب التربية غاية في التأثير على النفس ، وضرب من ضروب العظة غاية في إثارة المشاعر النبيلة في النفس ، إذ يذكّرها بإنعام الله وإحسانه الجم عليها ، وهذا تكريم من الله لها ولا ينبغي لمن كرمه الله هذا التكريم أن يعصي المنعم عليه بالشرك الذي هو إعطاء حق لمن ليس له ، وصرفه عن الذي يستحقه)) [٤] ، فهذا التذكير نوع من الترغيب يشكل دافعاً للإيمان ، ويدعو الخصم للتفكر ومن ثَمَّ الرجوع إلى جادة الصواب المتمثل بالإيمان بما جاء به الرسول أو النبي .

---

[١] ينظر : الميزان : ٢٠ / ٣٠ ، والأمثل : ١٩ / ٥٤ .
[٢] خطاب الأنبياء : ٢٧٦ ، وينظر : الكشاف : ٦ / ٢١٥ – ٢١٦ ، وأنوار التنزيل : ٥ / ٢٤٩ .
[٣] وينظر : سور (الأعراف ٨٦) و (هود ٦١) .
[٤] خطاب الأنبياء : ٣٢ .

ومن الترغيب بالتذكير ما جاء في قول هود (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء ١٣٢ – ١٣٤] ، وقول صالح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ ﴾ [الشعراء ١٤٦ – ١٤٩] ، والنبي هنا يرغب قومه بالتذكر بنعم الله التي يتقلبون فيها والمتمثلة في كثرة الأموال ، ووفرة الرزق ، ونعمة البنين التي تمثل المستند والقوّة ، ونعمة البساتين والأنهار التي تمثل منتهى الرخاء والرفاهية ، وهذا الأسلوب غاية في البيان وإلزام الحجة والبرهان وإثارة المشاعر والعواطف ، إذ يشعر الإنسان المخاطَب به بكرامته وعلو نفسه وكبر منزلته ، ثم يطالبه بحقوق هذه العزّة ومطالب تلك الكرامة ، وما تستلزمه تلك المنزلة ، ويُعرّفه أن عصيانه لخالقه ومكرمه ورب نعمته هو امتهان للنفس ، ونزول عن المكان اللائق بها وتعريضها لما يوردها موارد الهلاك العاجل والآجل [1] .

[1] ينظر : معالم الدعوة في قصص الأنبياء (عبد الوهاب الديلمي) : ١ / ٢٥٨ .

رابعاً / التهديد والوعيد .

إن التهديد والوعيد أسلوب يعتمده الخصم في مجابهة خصمه ، وهو وسيلة من الوسائل التي يميل إليها الخطاب في مجالات الخصومة القرآنية ، وإيرادها يعبر عن مأخذ معين وهو أن الخصومة تأخذ منحًى آخر ، وتصل إلى طريق مسدودة ، يلجأ فيها الخصم إلى التهديد والوعيد بشتى أنواع العقوبة ؛ لإجبار الخصم على تغيير موقفه تجاهه ، جاء في المفردات ((هددت فلاناً وتهددتُه إذا زعزعتُه بالوعيد)) [١] ، وقد تنوعت العقوبات في هذا المجال ، فمنها التهديد بالقتل ، والإخراج من الأرض ، والرجم ، والسجن ، والإحراق ، وغيرها [٢] .

أولاً : التهديد بالقتل والرجم أو الصلب :

ومنه ما جاء في خصومة ابني آدم في قوله تعالى :﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ [المائدة ٢٧] ، وهذا من جملة قول قابيل وهابيل ، وهو وعيد وتهديد شديد ، حسداً على تقبل قربان أخيه[٣] .

ومنه كذلك تهديد فرعون للسحرة بعد إيمانهم بموسى (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف ١٢٤] [٤] ، والمعنى أنه يقطّعهم من كل شق طرفاً ، أي قطْعُ يدِ الرجُل اليمنى ورجلِه اليسرى أو بالعكس ، فيخالف بين العضوين في القطع ، ثم يعمد إلى صلبهم وهم أحياء تنزف دماؤهم تفضيحاً لهم وتنكيلاً لأمثالهم ، وأكّد ذلك باجمعين ؛ إعلاماً منه أنه غير مستبْقٍ منهم أحداً ، وقد خص تصليبهم في جذوع النخل في سورة طه في قوله تعالى :﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه ٧١] ؛ ((لأن هذه الجذوع أخشن من غيرها ، والتصليب عليها أشق من

---

[١] المفردات : ٦٩٩ .
[٢] ينظر : أدب القصة في القرآن الكريم (د. عبد الجواد المحص) : ١٧٠ .
[٣] ينظر : البحر المحيط : ٣ / ٤٧٦ ، وأنوار التنزيل : ٢ / ١٢٣ .
[٤] وينظر : سور (طه ٧١) و (الشعراء ٤٩) .

التصليب على غيرها وأظهر للرائي لعلوّها عن سواها)) [1] ، أي لأجعلنكم مثَلَة ولأقتلنكم ولأشهرنكم ، حيث شبّه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف المشتمل عليه ، للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً ، وفي هذا إفراط في تعذيبهم [2] .

ومن التهديد بالرجم ما جاء في قول قوم شعيب له في قوله تعالى :﴿ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود ٩١] ، والتهديد للرسل في سورة يس :﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ [يس ١٨] ، والتهديد لنوح :﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء ١١٦] ، والرجم هو القتل بالحجارة رمياً ، ويمثل هذا الفعل أشنع أنواع القتل ؛ فهو قتلة حقارة وخزي [3] ، والتهديد به أقسى أنواع التهديد .

ثانياً / التهديد بالطرد والإخراج :

ومنه ما جاء في تهديد قوم شعيب في قوله تعالى :﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا ﴾ [الأعراف ٨٨] ، وتهديد الكفار لرسلهم في سورة إبراهيم :﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم ١٣] ، والتهديد بهذا النوع من العقاب له وقع على النفس البشرية ؛ لأن النفس تهوى الأرض التي تنتمي إليها ، وتكره الاغتراب عنها ، وهذا التهديد ناشيء عن غاية الوقاحة والطغيان ، وتأكيد القول بالقسم ونون التوكيد ؛ للمبالغة ودلالة على قطع العزم بالمضي قدُماً بهذا التهديد [4].

ثالثاً / التهديد بنزول العذاب :

تبرز قضية التهديد بنزول العذاب من الله تعالى واحدة من أهم الوسائل الرادعة التي يستعملها الأنبياء في مواجهة تكذيب أقوامهم ، ويندرج هذا الأمر بعد استنفاذ الحجج ، واستكبار الخصوم وتطاولهم وتبجحهم بعدم الإيمان بالنبي المرسل إليهم ، من ذلك قول

---

[1] القصة في القرآن الكريم : ١ / ٣٩٦ .
[2] ينظر : أنوار التنزيل : ٤ / ٣٣ ، وإرشاد العقل السليم : ٣ / ٦٤٨ ، وفتح القدير : ٣ / ٣٧٦ ، وتفسير النسفي (أبو البركات عبدالله النسفي) : ٣ / ٦٨٧ ، والقصة في القرآن الكريم : ١ / ٣٨٩ .
[3] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٣١٩ ، والتحرير والتنوير : ١٢ / ١٥٠ .
[4] ينظر : روح المعاني : ٩ / ٢ .

نوح (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [هود ٣٩] ، فهذا تهديد بالغ من نوح (عليه السلام) بالعذاب المخزي وهو الطوفان والغرق [١] ، بعد التكذيب الطويل من قومه والدعوة الطويلة التي وصلت إلى طريق مسدودة كما صوّرتها الآيات السابقة لهذا التهديد في قوله تعالى :﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ ﴾ [هود ٣٦] .

ومثله تهديد شعيب (عليه السلام) لقومه :﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود ٩٣] ، وهو تهديد من أشد التهديدات بالعذاب المهين الفاضح [٢] الذي يُشعِر بأنه (عليه السلام) ((على وثوق مما يقول ، لا يأخذه قلق ولا اضطراب من كفرهم وتمردهم على دعوته)) [٣] .

ومن التهديد بالعذاب ما جاء في قول هود (عليه السلام) في قوله تعالى :﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ ﴾ [هود ٥٧] ، وهذه إشارة بنزول عذاب الاستئصال والهلاك [٤] ، أي يزيلكم ويخلفكم بقوم آخرين [٥] ، قال العلامّة الطباطبائي :((هذا وعيد وإخبار بالتبعة التي يستتبعها إجرامهم)) [٦] .

رابعاً / التهديد بعذاب الآخرة :

وتندرج وسيلة التهديد بالعذاب الأخروي أداة للردع والإنذار وهي جزء من التبليغ ؛ حتى لا يكون للخصم حجة يوم القيامة بعدم علمه بهذا العذاب ، ومن التهديدات الواردة في هذا المجال تهديد الله تعالى لإبليس في قوله سبحانه :﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً

---

[١] ينظر : الكشاف : ٣ / ١٩٨ ، والبحر المحيط : ٥ / ٢٢٢ .
[٢] ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٣٢٤ .
[٣] الميزان : ١٠ / ٣٧٥ .
[٤] ينظر : التفسير الكبير : ٨ / ١٥ ، وزاد المسير : ٦٥٨ .
[٥] ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ١٠٢ .
[٦] ينظر : الميزان : ١٠ / ٣٠٣ .

مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف ١٨] [١] ، وهذا التهديد يصور لنا حالة الغضب الإلهي على إبليس لوقاحته وتحديه – خسأ وخاب – لرب العالمين .

[١] وينظر : سورة (ص ٨٥) .

الخاتمة

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين :

فبعد هذه الجولة في سياق الخصومة ومواقفها الواردة في القرآن الكريم توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

١- أصّل البحث مفهوم الخصومة بأنها علاقة بين طرفين كل منهما يسمى خصماً قائمة على المعاندة والاختلاف ممزوجة بالبغض النفسي والكره .

٢- كشف البحث عن ورود عدد من الألفاظ قريبة من مفهومها من لفظة الخصومة وتفترق عنها بعدد من الاختلافات وهذه الألفاظ هي :(المجادلة ، والمراء ، واللدد ، والمناظرة ، والمحاجّة ، والمنازعة) .

٣- اظهر البحث ان ورود صيغ الخصومة والألفاظ المقاربة لها في السور المكية اكثر منها في السور المدنية باعتبار ان البيئة المكية كثرت فيها المواجهات بين المسلمين وخصومهم .

٤- أظهر البحث ان أسلوب الاستفهام أكثر الأساليب وروداً في سياقات الخصومة ، لأنه أسلوب محاجّة وإقناع كما أنه يؤدي معاني الإنكار والتعجب والتقرير بصورة مجازية .

٥- أظهر البحث أن لأسلوب النداء دلالة واضحة في مواقف الخصومة ؛ لأنه أسلوب يُعمد إليه بالإصغاء من قبل المنادى وفي ذلك ميّزة لا تنكر عند التخاطب .

٦- كشف البحث عن دلالة واضحة لأسلوب النفي في مواقف الخصومة بوصفه اسلوباً من الأساليب التي تعبر عن الرفض وعدم القبول ، وجاء استعماله متواشجاً مع هذه المواقف التي تحمل فِكَراً تتصف بالرفض والعناد .

٧- تناول البحث ظاهرة الحذف والذكر مبيناً المعاني المصاحبة لهذه الظاهرة كالتهويل والتقليل والتحذير وغيرها .

٨- أكد البحث دقة الاختيار القرآني لألفاظه وتراكيبه في التعبير عن السياقات المتكررة للخصومة في القرآن الكريم .

٩- أظهر البحث أهمية ظاهرة التكرار في سياقات الخصومة إذ إن تكرار الأصوات المفردة والمفردات والتكرار الجملي يظهر معاني واضحة تدل على المعنى المقصود في التعبير المذكور .

١٠- أثبت البحث أن هناك عدّة وسائل ارتكز عليها الخطاب في سياقات الخصومة وهي (الحجة العقلية ، والسخرية والاستهزاء ، والترغيب ، والتهديد والوعيد) .

١١- أكد البحث أن مبتغى الرسل في إطلاق الحجة العقلية الهداية والإيمان بما جاءوا به ، بينما مبتغى الأقوام الضالّة من الحجة العقلية اللجاج والمجادلة بالباطل .

١٢- أثبت البحث أن الحجة العقلية التي جاء بها الرسل والأنبياء (عليهم السلام) هي حجة رصينة مبنية على الدعوة للتفكر والتأمل ، كحجة إبراهيم (عليه السلام) مع النمرود وغيرها ، بينما حجة خصومهم حجة واهية يسهل دحضها عند الرد عليها .

١٣- أثبت البحث أن الترغيب وسيلة من وسائل الخطاب في سياقات الخصومة من أنجع الوسائل في مخاطبة الخصم ؛ لأن النفس البشرية تهوى ما يسرها .

١٤- أظهر البحث أن ترغيبات الأنبياء (عليهم السلام) لخصومهم كان أغلبها بالتذكير بما يمن الله عليهم من نعم في الدنيا ؛ بسبب رؤية عقولهم التي لا تمتد إلى ما بعد الحياة التي يحيونها .

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

الكتب المطبوعة:

{ أ }

١- ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

٢- أبنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط ١ ، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .

٣- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق / الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٤- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق / طه عبد الرؤف سعد ، مكتبة الصفا ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م .

٥- الآداب : عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) ، تحقيق / صبيح رديف ، المكتبة الوطنية – بغداد ، ط١ ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .

٦- أدب الخصومة في الإسلام : سالم راشد بن تريس القمزي ، دار الوسام للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨ م .

٧- أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن معالم الإعجاز : د. عبد الجواد محمد المحص ، جامعة القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

٨- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ) ، تحقيق/عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٩- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية : د. زياد العاني ، دار السلام – دمشق – سوريا ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

١٠- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : د. قيس إسماعيل الآوسي ، بيت الحكمة – بغداد ، ١٩٨٨ م .

١١- الأساليب القرآنية في عرض العقيدة الإسلامية : د. صالح خليل حمودي الطائي ، دار النهج ، حلب – سوريا ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٢- أساليب المعاني في القرآن : السيد جعفر الحسيني ، مؤسسة بوستان كتاب – قم ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .

١٣- إستخراج الجدل من القرآن الكريم : ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري المعروف بابن رجب الحنبلي (ت٦٣٤هـ) ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه / محمد صبحي حسن حلاّق ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع – ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

١٤- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم : د. شلتاغ عبود ، دار المحجة البيضاء ودار الرسول الأكرم – بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٥- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن : محمود بن حمزة الكرماني (ت٥٠٥هـ) ، دراسة وتحقيق / عبد القادر احمد عطا ، دار الفضيلة .

١٦- أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني : د. عمر محمد باحاذق ، دار المأمون للتراث – دمشق ، ط١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

١٧- الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : د. فتح الله أحمد سليمان ، دار الآفاق العربية – القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .

١٨- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) تحقيق/ د. عبد القادر حسين ، دار نهضة مصر – القاهرة ، ١٩٨٢م .

١٩- إصلاح المنطق : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت٢٤٤هـ) ، تحقيق / أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٤٩ م .

٢٠- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس، مكتبة أنجلو المصرية – القاهرة ، ٢٠٠٧م .

٢١- أصول الدعوة : عبد الكريم زيدان – بغداد ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م .

٢٢- الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ) ، تحقيق / د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٢٣- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، دار المعارف – القاهرة – مصر ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١ م .

٢٤- الإعجاز الفني في القرآن الكريم : د. عمر السلامي ، منشورات عبد الكريم بن عبد الله – تونس ، ١٩٨٠ م .

٢٥- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار – عمان ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٦- إعجاز القران الكريم : د. فضل حسن عباس ، الجامعة الاردنية – الاردن ، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

٢٧- إعجاز القران للباقلاني : أبي بكر محمد بن الطيب (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق / السيد أحمد صقر ، دار المعارف – مصر .

٢٨- إعراب القران الكريم وبيانه : الأستاذ محي الدين الدرويش ، اليمامة للطباعة والنشر ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط٧ ، ٢٠٠٠ م .

٢٩- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج : (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق ودراسة / إبراهيم الإبياري ، دار الكتب الإسلامية – القاهرة وبيروت .

٣٠- الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي (ت١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢هـ .

٣١- ألإكسير في علم التفسير : سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري (ت٧١٦هـ) ، تحقيق / عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ١٩٧٧م .

٣٢- آل حم الشورى – الزخرف – الدخان دراسة في أسرار البيان : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ م .

٣٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة البعثة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .

٣٤- إن فرعون علا في الأرض : د. محمد أبو فارس ، دار الفرقان ، ط١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

٣٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٩١ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان .

٣٦- أنوار الربيع في أنواع البديع : علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) ، تحقيق / شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف – ط ١ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٣٧- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ومعه كتاب هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية – بيروت .

٣٨- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، وضع حواشيه / إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

{ ب }

٣٩- البارع في اللغة : أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ) تحقيق / هاشم الطعان ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ودار الحضارة العربية – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥ م .

٤٠- البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين ، منشورات دار الهجرة – إيران – قم ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ .

٤١- بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) ، تحقيق / الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود و د. زكريا عبد المجيد النوتي ، دار الكتب العلميّة – بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٤٢- البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق / الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمّية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

٤٣- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية : (ت٧٥١هـ) جمعه وخرج أحاديثه / يسري السيد محمد ، دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ.

٤٤- بدائع الفوائد : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ضبط نصه وخرج آياته / أحمد عبد السلام ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٤٥- البديع في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٨٦ م .

٤٦- بديع القرآن : ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تحقيق / حفني محمد شرف ، نهضة مصر – القاهرة .

٤٧- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث – القاهرة – مصر .

٤٨- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، تحقيق / الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان .

٤٩- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني : د. توفيق الفيل ، مكتبة الآداب – القاهرة .

٥٠- البلاغة الصوتية في القران الكريم : دكتور محمد إبراهيم شادي ، الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

٥١- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية : د. محمد حسنين أبو موسى ، دار الفكر العربي – القاهرة .

٥٢- البلاغة والأسلوبية : د. محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

٥٣- البلاغة والتطبيق : د. أحمد مطلوب و د. كامل حسن البصير ، مطابع بيروت الحديثة – بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٥٤- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني : د. تمام حسان ، عالم الكتب – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

٥٥- البيان والتبين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح/عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي / القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

{ ت }

٥٦- تاج العروس من جواهر القاموس : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق / د. محمود محمد الطناحي ومصطفى حجازي ، التراث العربي ، الكويت ، ١٣١٣هـ – ١٩٩٣م .

٥٧- تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر : عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ) ، ظبط الأستاذ خليل شحادة ، دار الفكر – بيروت– لبنان ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

٥٨- التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق / محمد علي البجاوي ، عيسى البابي الحلبي – القاهرة .

٥٩- التبيان في أيمان القرآن : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، تحقيق / عبد الله بن سالم البطاطي ، دار عالم الفوائد ، جدة – المملكة العربية السعودية .

٦٠- التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق / أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤٠٩م.

٦١- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي أصبع المصري (ت٦٥٤ هـ) ، تقديم وتحقيق / د. حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي – مصر .

٦٢- التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ م .

٦٣- التحقيق في كلمات القرآن : حسن المصطفوي (ت١٤٢٦هـ) ، بنكاه ترجمة ونشر كتاب ، طهران ، ١٣٣٠ ش .

٦٤- التراكيب اللغوية : د. هادي نهر ، دار اليازوري العلمية – عمان – الأردن ، ٢٠٠٤ م .

٦٥- التسهيل لعلوم التنزيل : أبو القاسم محمد بن جزي (ت٧٤١هـ) ، ضبط وتصحيح / محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٦٦- التصوير الساخر في القرآن الكريم : د. عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م .

٦٧- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب إبراهيم (ت١٩٦٦م) ، دار الشروق – القاهرة ، ط١٦ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

٦٨- التعبير الفني في القرآن الكريم : د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط ٧ ، ٢٠٠٤ م .

٦٩- التعبير القرآني : د. فاضل السامرائي ، المكتبة القانونية ، بغداد – العراق .

٧٠- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) ، تحقيق / إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ .

٧١- التعريف والتنكير في النحو العربي دراسة في الدلالة والوظائف النحوية والتأثير في الأسماء إعرابا وبناء : د. أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة .

٧٢- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم : د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

٧٣- التفسير البياني للقرآن الكريم : د. عائشة بنت الشاطيء ، دار المعارف – القاهرة ، ط٨ .

٧٤- تفسير الشعراوي : الشيخ محمد متولي الشعراوي ، دار أخبار اليوم – القاهرة – مصر .

٧٥- تفسير القرآن العظيم : الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق / سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط٢ ، ١٩٩٩م .

٧٦- التفسير الكبير ومفاتح الغيب : الإمام محمد فخر الدين الرازي (ت٦٠٤ هـ) دار الفكر – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٧٧- تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٦م .

٧٨- تفسير المنار : السيد محمد رشيد رضا ، دار المنار – القاهرة ، ط٢ ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧ م .

٧٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان ، ط ٢ ، ١٤١٨ هـ .

٨٠- تفسير النسفي : أبو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي (ت٧٠١هـ) ، تحقيق / سيد زكريا ، مكتبة مصطفى نزار الباز ، المملكة العربية السعودية .

٨١- التفسير الوسيط : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ .

٨٢- تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف : د. حسن عبد الهادي الدجيلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .

٨٣- التكرير بين المثير والتأثير : د. عز الدين علي السيد ، عالم الكتب – بيروت ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

٨٤- تهذيب اللغة : ابو منصور محمد بن احمد الازهري ، تحقيق / محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م

٨٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) ، تحقيق / عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق ، مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط٢ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م .

{ ث }

٨٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، حققها وعلق عليها / محمد خلف الله احمد و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف – مصر ، ط٣ .

{ ج }

٨٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، ضبط وتوثيق وتخريج / صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م .

٨٨- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني (ت١٣٦٤هـ) المكتبة التوفيقية ، القاهرة – مصر .

٨٩- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

٩٠- جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم : د. محمد عبد المطلب الشركة المصرية العالمية – القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٥ م .

٩١- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه : محمود صافي ، دار الرشيد ، دمشق – سوريا ومؤسسة الإيمان ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٥ م .

٩٢- جرس الألفاظ : د. ماهر مهدي هلال ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ، ١٩٨٠ م .

٩٣- جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية : د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، مكتبة الأسد – دمشق ، ٢٠٠٥ م .

٩٤- الجملة العربية تأليفها وأقسامها : د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – عمان – الأردن ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٩٥- الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني : د. رابح أبو معزة ، دار ومؤسسة رسلان – دمشق – سوريا ، ٢٠٠٨ م .

٩٦- الجنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) تحقيق/ د. فخر الدين قباوة والإستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٩٧- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب : علاء الدين بن علي الأربلي (ت٦٣١هـ) المطبعة الحيدرية – النجف ، ١٩٧٠ م .

٩٨- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : السيد أحمد الهاشمي (ت١٣٢٦ هـ) منشورات واريان – قم – إيران ، ١٣٨١ هـ .

٩٩- جوهر القاموس في الجموع والمصادر : محمد بن شفيع القزويني ، تحقيق / محمد جعفر الكرباسي ، منشورات جمعية منتدى النشر ، النجف ، ١٩٨٢ م .

١٠٠- جوهر الكنز : نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (ت٧٣٧ هـ) ، تحقيق / د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف – الإسكندرية .

{ ح }

١٠١- حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ومعه شرح شواهد العيني ، تحقيق / طه عبد الرؤف سعد ، المكتبة التوفيقية – القاهرة .

{ خ }

١٠٢- خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي (ت٨٣٧هـ) ، تحقيق/عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ م.

١٠٣- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) ، تحقيق / محمد علي النجار ، المكتبة العلمية – مصر .

١٠٤- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط ٤ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

١٠٥- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

١٠٦- خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم (عليه السلام) : د. الشحات محمد أبو ستيت ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩١ م .

١٠٧- الخصومة ظاهرة في حياتنا السياسية والاجتماعية : السيد عبد الرحيم الحصيني ، منشورات الاجتهاد – قم المقدسة – إيران ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .

١٠٨- خطاب الأنبياء : د. عبد الصمد عبد الله محمد ، مكتبة الزهراء – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

١٠٩- خطرات في اللغة القرآنية : د. فاخر الياسري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد – العراق .

١١٠- الخلاصة النحوية : د.تمام حسان ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

{ د }

١١١- – دراسات في البلاغة العربية : د. عبد العاطي غريب علام ، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٧م .

١١٢- دراسات في علم النفس الأدبي : د. حامد عبد القادر ، مطبعة النموذجية – القاهرة .

١١٣- دراسات لأسلوب القرآن الكريم : محمد عبد الخالق عظيمة ، دار الحديث – القاهرة – مصر .

١١٤- دراسات منهجية في علم البديع : د.الشحات محمد أبو ستيت ، ط١ ، ١٩٩٤م.

١١٥- درة التنزيل وغرة التأويل : أبو عبد الله محمد بن عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) ، دراسة وتحقيق وتعليق / د. محمد مصطفى آيدين ، مكتبة الملك فهد الوطنية – مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤١٨هـ .

١١٦- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها : د. أحمد أحمد علوش ، دار الكتاب المصري – القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني – بيروت ، ١٩٨٧ م .

١١٧- دلائل الإعجاز : الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلق عليه / محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م .

١١٨- دلالات التراكيب دراسة بلاغية : د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م .

١١٩- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم : د. منير محمود المسيري ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

١٢٠- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى : د. حامد كاظم عباس ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – العراق ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

١٢١- ديوان أمريء القيس وملحقاته : بشرح أبي سعيد السكري (ت٢٧٥هـ) ، تحقيق / د. أنور عليان أبو سليم و د. محمد علي الشوابكة ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

١٢٢- ديوان ذي الرُّمة غيلان بن عقبة العدوي (ت١١٧هـ) شرح الإمام أبي نصر احمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي ، رواية الإمام أبي العباس ثعلب : حققه وقدم له وعلق عليه / د. عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الإيمان – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢ م .

{ ر }

١٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : أبو الفضل محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان .

{ ز }

١٢٤- زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، دار ابن حزم – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

{ س }

١٢٥- السخرية في أدب الجاحظ : السيد عبد الحليم محمد حسين ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع – ليبيا ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .

١٢٦- السخرية في أدب المازني : د. حامد عبده الهوّال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ م .

{ ش }

١٢٧- شذا العرف في فن الصرف : الشيخ أحمد الحملاوي (ت١٣٥١هـ) ، ضبط وتصحيح / محمود شاكر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

١٢٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق / محي الدين عبد الحميد ، انتشارات استقلال – إيران ، ط٣ ، ١٤٢٨ هـ .

١٢٩- شرح التسهيل : ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (ت٦٧٢هـ) ، تحقيق / د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون ، مطبعة هجر مصر ، ط١ ، ١٩٩٩ م .

١٣٠- شرح جمل الزجاجي : ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ) ، تحقيق / د. صاحب أبو جناح ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .

١٣١- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : حققه وقدم عليه / د. إحسان عباس ، مطبوعات التراث العربي ، الكويت ، ١٩٦٢م .

١٣٢- - شرح الرضي لكافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي (ت٦٨٦هـ) ، دراسة وتحقيق / د. حسن بن محمد الحفظي ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

١٣٣- شرح المعلقات السبع : الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني (ت٤٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

١٣٤- شرح المفصل للزمخشري : موفق الدين بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣ هـ) قدم له / د. أميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١٣٥- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : شمس الدين محمد بن عبد المنعم الجوجري (ت٨٨٩هـ) ، تحقيق / نواف بن جزاء الحارثي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٤ م .

{ ص }

١٣٦- الصاحبي في فقه اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق / السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .

١٣٧- صحيح البخاري : الإمام شيخ الحفاظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ) ، تحقيق / طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

١٣٨- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار طيبة – الرياض – ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٣٩- صفاء الكلمة : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ – الرياض ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

١٤٠- صفوة التفاسير : محمد علي الصابوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

{ ط }

١٤١- الطراز : يحيى بن حمزة بن علي العلوي (ت٧٠٥هـ) ، تحقيق / د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م .

{ ع }

١٤٢- عروس الأفراح ضمن شروح التخليص : بهاء الدين السبكي (ت٧١٩هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

١٤٣- علم المعاني : د. عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية – بيروت – لبنان.

١٤٤- علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين : د. طالب إسماعيل الزوبعي ، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي ، ط١ ، ١٩٧٧ م .

١٤٥- علم المعاني دراسة وتحليل : د. كريمة محمود أبو زيد ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

١٤٦- علم النفس الإسلامي : معروف زريق ، دار المعرفة – دمشق ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٩ م .

١٤٧- العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) ، ترتيب وتحقيق / د.عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

١٤٨- عيون الأخبار : ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق / د. مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

{ ف }

١٤٩- الفاصلة في القرآن : محمد الحسناوي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، دار عمار – عمان ، ط٢ ، ١٩٨٦ م .

١٥٠- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : أبو يحيى زكريا الأنصاري (ت٨٢٥هـ) حققه وعلق عليه / الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٥١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، عالم الكتب .

١٥٢- الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه / محمد إبراهيم سليم ، دار المعرفة والثقافة – القاهرة .

١٥٣- الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب : د. منير سلطان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية – ط٢ ، ١٩٩٧ م .

١٥٤- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور : د. رجاء عيد ، منشأة المعارف – الاسكندرية ، ط ٢ .

١٥٥- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، مطبعة السعادة – مصر ، ط ١ ، ١٣٢٧هـ .

١٥٦- في البلاغة العربية أسرار الفصل والوصل : د. صباح عبيد دراز ، طبعة الأمانة – مصر ، ط١ ، ١٩٨٦ م .

١٥٧- في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية : د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢م .

١٥٨- في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم (ت١٩٦٦م) ، دار الشروق – القاهرة ، ط٣٤ ، ٢٠٠٤ م .

١٥٩- في فلسفة البلاغة العربية : د. حلمي علي مرزوق ، كلية الآداب – دمنهور ، ١٩٩٩ م .

١٦٠- في النحو العربي نقد وتوجيه : د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

{ ق }

١٦١- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت٨١٧هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٠ هـ _ ١٩٨٠م.

١٦٢- القسم في القرآن الكريم : د. حسين نصار ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٦٣- القصة في القرآن الكريم : د. محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ط١ ، ١٩٩٦ م .

{ ك }

١٦٤- الكافية في الجدل : الجويني إمام الحرم (٤٧٨ هـ) ، تقديم وتحقيق وتعليق / د. فوقية حسين محمود،مطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦٥- الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق / عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٦٦- كتاب البديع : عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) ، إعداد وتعليق / إغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة – بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٦٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد علي التهانوي (ت١١٥٨هـ) ، تحقيق / د. علي دحروج ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ م .

١٦٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق / الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض ، مكتبة العبيكان ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .

١٦٩- كشف المعاني في المتشابه من المثاني : بدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣ هـ) تحقيق / د. عبد الجواد خلف ، دار الوفاء – المنصورة ، ط١ ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

١٧٠- الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤ هـ) ، تحقيق/د.عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٩٨ م .

{ل}

١٧١- اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق / غازي مختار طليمات ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

١٧٢- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، تحقيق / عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف – القاهرة .

١٧٣- اللغة في الدرس البلاغي : د. عدنان عبد الكريم جمعة ، دار السياب – لندن – ط١ ، ٢٠٠٨ م .

{م}

١٧٤- مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط٧ .

١٧٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير (ت٦٢٩هـ) قدمه وعلق عليه / د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة .

١٧٦- مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) ، علق عليه / د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

١٧٧- مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، تحقيق وتعليق / مجموعة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م .

١٧٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) ، تحقيق / الرحالة الفاروق وآخرون ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

١٧٩- المحيط في اللغة : الصاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق / الشيخ محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

١٨٠- مدخل إلى علم النفس الإسلامي : د. محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

١٨١- مشاهد القيامة في القرآن : سيد قطب إبراهيم (ت١٩٦٦م) ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٤ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٨٢- المصباح المنير : العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ) مكتبة لبنان ، لبنان – بيروت ، ١٩٨٧م .

١٨٣- معارج الصعود إلى تفسير سورة هود : عبد الله احمد قادري ، دار النشر والتوزيع – جدة – المملكة العربية السعودية .

١٨٤- معالم التنزيل : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) ، دار ابن حزم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٨٥- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم : عبد الوهاب بن لطف الديلمي ، دار المجتمع – جدة – السعودية .

١٨٦- معالم في الطريق : سيد قطب إبراهيم (ت١٩٦٦م) دار الشروق – بيروت – لبنان ، ط٦ ، ١٩٧٩ م .

١٨٧- معاني الأبنية في العربية : د. فاضل السامرائي ، جامعة بغداد .

١٨٨- المعاني في ضوء أساليب القرآن : د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف – القاهرة – مصر ، ط٢ ، ١٩٧٧ م .

١٨٩- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .

١٩٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، ضبط وتصحيح / احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م .

١٩١- المعجم الفلسفي : د. جميل صليبا ، دار الكتب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢ م .

١٩٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : د. أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٩٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .

١٩٤- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م .

١٩٥- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته : د. أحمد مختار عمر ، مؤسسة سطور المعرفة ، الرياض – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .

١٩٦- مغني الأديب : تأليف ، مجموعة مؤلفين ، أدباء – قم – إيران ، ١٤٣٠ هـ.

١٩٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تحقيق وشرح / د. عبد اللطيف محمد الخطيب ، السلسلة التراثية – الكويت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٩٨- المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة : د. محمد العبد ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .

١٩٩- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ) حققه وقدّم له وفهرسه / د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٠٠- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الاصفهاني) ، تحقيق / مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية .

٢٠١- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق / محمد عبد الخالق عظيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٢٠٢- المقرب : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) ، تحقيق / احمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري ، ط١ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

٢٠٣- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى : أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق / محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن – القاهرة .

٢٠٤- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ) ، تحقيق / سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٠٦- الملل والنحل : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ) تحقيق / أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

٢٠٧- مناهج الجدل في القرآن الكريم : د. زاهد الألمعي ، مطابع الفرزدق – الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٠ هـ .

٢٠٨- من بلاغة القرآن : د. أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة .

٢٠٩- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني : د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، عالم الكتب –بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .

٢١٠- من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم : د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط١ ٢٠١٠م .

٢١١- المنتخب من كلام العرب : محمد جعفر إبراهيم الكرباسي (ت١٢٦٠هـ) منشورات الوفاق ، مطبعة الآداب –النجف ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٢١٢- من جماليات التصوير في القرآن : محمد قطب عبد العال ، الهيئة المصرية العامة للكتاب –مصر ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ م .

٢١٣- من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، دار الهدى ، ط١ ، ١٤٠٦هـ.

٢١٤- المهذب في علم التصريف : د. هاشم طه شلاش و د. صلاح مهدي الفرطوسي و د. عبد الجليل عبيد حسن ، الموصل ، ١٩٨٩ م .

٢١٥- موسوعة نَضِرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) : إعداد مجموعة من المختصين ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

٢١٦- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين : الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي (ت١٣٣٢هـ) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٢١٧- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ) صححه وأشرف على طباعته / الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات دار المجتبى للمطبوعات – قم ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

{ ن }

٢١٨- نحو الفعل : د. احمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

٢١٩- النحو الوافي : عباس حسن ، انتشارات ناصر خسرو – طهران ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ .

٢٢٠- النداء في القرآن الكريم : د. معن الحيالي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .

٢٢١- النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ : فيكتور شلحت اليسوعي ، دار المعارف – مصر ، ١٩٧٥ م .

٢٢٢- نظرات في كتاب الله : زينب الغزالي الجبيلي ، دار الشروق – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م .

٢٢٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥ هـ) ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

٢٢٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق / د. بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ م .

{ هـ }

٢٢٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق / احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م .

{ و }

٢٢٦- وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية : د. عائشة حسين فريد ، داء قباء للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، ٢٠٠٠م .

{ ي }

٢٢٧- اليوم الآخر في ظلال القرآن : أحمد فائز ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨١ م .

الرسائل والاطاريح:

١- سورة الإسراء دراسة بلاغية دلالية (رسالة ماجستير) : فاضل ضايف سلطان كلية الآداب – جامعة الكوفة ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م .

٢- سورة الأنبياء دراسة دلالية (رسالة ماجستير) : إياد عبد العزيز فرحان ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ١٤١٣هـ - ٢٠١٠ م .

٣- الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري (أطروحة دكتوراه) : عواطف كنوش مصطفى عيسى ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ١٩٩٥م .

٤- سورة هود دراسة لغوية دلالية (أطروحة دكتوراه) : عبد الكريم ناصر الخزرجي ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ م .

ABSTRACT

This is a thesis under the title of (The Disputation in Qura'n a semantic study). It was prepared as a requirement for a master's degree in the Arabic language and was based on the books of magnificent scientists who served God's Holy book the Qur'an from expounders and such .

The research Included an Introduction , four chapters and conclusion a bout the results that researcher has achieved and arrived at .

The first chapter was entitled : (The Quran disputation) It contained two themes ; the first,was under the title of (The Quran disputation) it's phraseology and it's close. Pronouncements) .

It clarified the general connotation to disputation and it's clear phrasing (to dispute) and it's close pronouncement such as ; arguments, litigation and conflicts etc…

And the second theme was entitled (The Quran disputation; it's types and causes) it showed it's stated and most important causes that called for disputation in Qura'n .

As for second chapter, it was entitled (the notion of methods in context of disputation) it dealt with subjects

like (interrogation, Vocatation, Prohibition, Negation, Direction, Condition, Confirmation, and Consideration) showing the clear notion of these methods in contexts of disputation .

As for the third chapter, it was entitled (The notion of the conditions of sentence and sentences) it dealt with the most important phenomenons that came over the sentence and sentences such as (Advancement and postponement, Indefinite naming and Definition, Deletion and Mentioning, Exceptional sentences and separation and attachment) showing the clear notions of these phenomenons in the contexts of disputation .

As for the fourth chapter , it was entitled (The artistic and semantical appointment in Qura'n). This chapter contained two themes, the first was called (The proportionality and coordination in the contexts of disputation) It dealt with subjects such as (The expressive consistency, Ription, Resem blance and Comparison) .

The second them was called (The mthods of speech in the contexts of disputation) it showed the most important methods that the speech was founded in the contexts of disputation and that is (The mmentl demon stration, mockert and Ridicle , Arousal of an ending that meutioned followed by refrences and sources .

Disputation in The Holy Qura'n - A Semantic study

A Thesis

Submitted To The Council

OF The College Of Education ,

The University Of Basrah In Partial

Fulfillment Of The Requirement

For The Degree Of Master Of Arts

in Arabic Language and Literature

By

Mustafa Hamid Yacoub

Supervisor

Ass.t Prof. Dr. Salim Yacoub Yousif

1433 AH. 2012 AD.